



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى الله عليه وسلم

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir



مجلس الشورى الإسلامي
الجمهورية الإسلامية الإيرانية
١٤٠٠



دور الخطاب الديني

في تفهيد البيئة الفكرية بين الإصلاح والإرهاب

الخطاب العقائدي واجب مستمر
في معالجة القضايا المعاصرة
مراعياً في ضوء القرآن والسنة
وعلم النفس الاجتماعي



مراجعة وتقديم
الشيخ عبدالمحسن الكوراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية بين الاصلاح والافساد

كاتب:

نبيل قدوري الحسنى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
10	دور الخطاب الدينى فى تغيير البنية الفكرية بين الاصلاح والافساد
10	اشارة
10	اشارة
14	الإهداء
15	مقدمة الكتاب
20	المبحث الأول: مصطلح الخطاب الدينى، ما هو؟
20	اشارة
22	المسألة الأولى: لفظ (الخطاب) كما قدمه اللغويون والمفسرون
22	أولاً: الخطاب لغة
24	ثانياً: الخطاب فى القرآن الكريم
24	اشارة
24	ألف:
25	باء:
33	جيم:
33	دال:
34	هاء:
34	ثالثاً: ما هى الخطابة؟
36	المسألة الثانية: ما هو الدين كى يتصف به الخطاب فىكون دينياً؟
36	اشارة
38	أولاً: تعريف الدين
42	ثانياً: الاتجاهات المعاصرة لبيان معنى الدين وفهمه
42	اشارة

43	ألف: فكرة الدين بمنظار رأسمالي برجوازي
44	باء: التفسير الأثروبولوجي للدين
45	جيم: النظرية الاجتماعية في تفسير الدين
48	المبحث الثاني: مرجعية الخطاب الديني ومناوله
48	اشارة
50	المسألة الأولى: دور القرآن في مرجعية الخطاب الديني
53	المسألة الثانية: دور السنة النبوية في مرجعية الخطاب الديني
58	المسألة الثالثة: دور السلف في مرجعية الخطاب الديني
58	اشارة
58	أولاً: السلف لغة
59	ثانياً: السلف اصطلاحاً وفقها
64	ثالثاً: توقف بعض علماء أهل السنة والجماعة في حصر الخيرية في أهل القرون الثلاثة الأولى
64	اشارة
65	1 __ قال ابن حجر العسقلاني
66	2 __ قال ابن عبد البر
67	3 __ قال المناوي والكلاباذي وغيرهما
67	4 __ قال السرخسي
67	5 __ قال ابن تيمية
74	المبحث الثالث: آليات فهم النص وبناء الخطاب الديني
74	اشارة
77	أولاً: كتمان الحقائق
77	ثانياً: العلم الغائب وتقصان المعرفة
80	ثالثاً: ذريعة الاجتهاد الخاطي وصريح مخالفته للقرآن والسنة
88	المبحث الرابع: تقديس النص أم نص القداسة ودوران الخطاب الديني بينهما
88	اشارة

- 90 المسألة الأولى: القداسة الذاتية والإلتصاقية.
- 97 المسألة الثانية: القداسة بين مقتضيات الملك ومقتضيات الدين.
- 100 المسألة الثالثة: إعمال العقل أم حاكمية الجهل.
- 100 اشارة.
- 101 الشاهد الأول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينص على كفر أحد الصحابة وأبو بكر وعمر ينصان على إيمانه اجتهداً فيخالفان أمره.
- 105 الشاهد الثاني: ما رواه البخارى فى اتهام الصحابى ذى الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالظلم والعياذ بالله.
- 108 المبحث الخامس: تجديد الخطاب الدينى أم تجديد البنية الفكرية والمعرفية؟
- 108 اشارة.
- 112 المسألة الأولى: اتخاذ الخطاب الدينى وسيلة بلوغ السلطة.
- 112 اشارة.
- 114 الشاهد الأول: استخدام الخطاب الدينى فى حسم أمر البيعة فى مجتمع الكوفة بين عائشة وعمار بن ياسر وتباين قوة تأثير هذه الخطابات فى الناس.
- 121 الشاهد الثانى: استخدام الخطاب الدينى فى خروج طلحة والزبير لحرب أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام والهدف بلوغ السلطة.
- 123 الشاهد الثالث: استخدام عبد الله بن الزبير لوسيلة الخطاب الدينى فى حربه لأمير المؤمنين الإمام على عليه السلام لأجل تولى أمر المسلمين.
- 123 اشارة.
- 125 1 __ تغييره لبناء الكعبة المشرفة.
- 126 2 __ حبسه لعبد الله بن عباس وولده فى الشعب وإضرامه النار عليهم.
- 126 3 __ تركه للصلاة على محمد وآله أربعين جمعة.
- 126 4 __ محاربتة الشديدة لحبر الأمة عبد الله بن عباس.
- 127 5 __ نفيه لعبد الله بن عباس الى الطائف.
- 128 المسألة الثالثة: اعرف الدين تعرف أهله، وبهم يتم التجديد فى الخطاب الدينى الذى سنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- 128 اشارة.
- 129 أولاً: من هم أهل الدين الذين عرفهم القرآن للناس؟
- 129 اشارة.
- 132 1 __ إنهم مطهرون من الآثام وكل شىء قذر.
- 132 2 __ العلم بالقرآن والسنة.

- 133 3 _ الصدق
- 136 ثانياً: خير ما نستدل به على معرفة الدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين على عليه السلام إلى خاصة أصحابه وشيعته وفيه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- 144 المبحث السادس: دور خطاب العقيلة زينب عليها السلام في إصلاح البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي في الكوفة
- 144 اشارة
- 148 المسألة الأولى: من هي العقيلة زينب عليها السلام؟
- 150 المسألة الثانية: مقومات الإصلاح للبنية الفكرية في خطابها الديني لمجتمع الكوفة
- 150 اشارة
- 151 الأداة الأولى: الصدمة الثقافية (Inter cultural communication)
- 151 أولاً: تعريف مصطلح الصدمة الثقافية
- 152 ثانياً: جذور الصدمة الثقافية تعود للقرن الأول للهجرة النبوية
- 155 الأداة الثانية: استرعاء الانتباه الجماهيري
- 160 الأداة الثالثة: النافذة الانفعالية
- 162 الأداة الرابعة: المنظور التطوري النفسي
- 170 الأداة الخامسة: بث الروح في الضمير الجمعي
- 170 اشارة
- 174 أولاً: تحريك نبض التوحيد
- 175 ثانياً: بنوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسيب بيد المسلمين
- 176 ثالثاً: تقتلون الطيبين الأخيار وتولون الخبيثين الأشرار
- 177 الأداة السادسة: التعزير النفسي
- 177 أولاً: التعزير لغة
- 177 ثانياً: التعزير عند الفقهاء
- 181 الأداة السابعة: تشخيص الرذائل التي أصابت أهل الكوفة إلى أخلاق فردية واجتماعية وأن الإصلاح يبدأ بالفرد قبل المجتمع
- 183 الأداة الثامنة: تجمير المشاعر واصدام النفوس
- 185 الأداة التاسعة: تعظيم حرمة أهل البيت عليهم السلام وبيان مقامهم عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم
- 191 الأداة العاشرة: إظهار عقوبة قتل العترة النبوية في الدنيا والآخرة

- 193 الأداة الحادية عشرة: حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرمة عترته وإن أثار هتكها عند الله تعالى كآثار جريمة الشرك ..
- 199 المسألة الثالثة: كيف استطاعت العقيلة زينب عليه السلام بخطابها الديني تغيير الاتجاهات والقيم في المجتمع الكوفي؟ ..
- 199 إشارة ..
- 201 أولاً: مفهوم الاتجاه وتعريفه ..
- 207 ثانياً: شواهد ظهور الاستجابة المسيطرة وتغيير الاتجاه في المجتمع الكوفي بعد خطاب العقيلة زينب عليها السلام ..
- 207 الشاهد الأول: التغيير العام في سلوك أهل الكوفة ..
- 208 الشاهد الثاني: ارتفاع صوت الناس بالبكاء حينما خاطبهم الإمام زين العابدين عليه السلام ..
- 209 الشاهد الثالث: حسبك يا ابنة الطاهرين ..
- 209 الشاهد الرابع: تفجر شرارة الانتفاضة على والي الكوفة بلسان عبد الله بن عفيف الأزدى ..
- 211 الشاهد الخامس: قائد جيش الكوفة يظهر ندمه وخسرانه في طاعته لابن زياد ..
- 212 ثالثاً: اجتماع المكونات الأساسية للاتجاه النفسى نحو العترة بفعل الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام ..
- 212 إشارة ..
- 213 المكون الأول: المكون المعرفي ..
- 214 المكون الثاني: المكون الوجداني الانفعالي ..
- 215 المكون الثالث: المكون النزعي السلوكي ..
- 218 المصادر ..
- 236 المحتويات ..
- 265 تعريف مركز ..

دور الخطاب الدينى فى تغيير البنية الفكرية بين الاصلاح والافساد

اشارة

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة 2014: 500

الرقم الدولى: 9789933489939

الحسنى، نبيل، 1965 _____ م.

دور الخطاب الدينى فى تغيير البنية الفكرية بين الاصلاح والافساد: خطاب زينب عليها السلام فى مجتمع الكوفة أنموذجاً / دراسة وتحليل وتحقيق السيد نبيل الحسنى. - الطبعة الأولى. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. - قسم الشؤون الفكرية والثقافية، 1435ق. = 2014م.

ص 238. _____ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة؛ 140).

المصادر: ص 209-226؛ وكذلك فى الحاشية.

1. الإسلام - الاصلاح الفكرى - نقد . 2. الخطاب الدينى - دراسة وتحليل . 3. الفكر الدينى - تجديد نظر . 4. زينب بنت على بن أبى طالب (س)، 6 - 62هـ. - الخطب - دفع مطاعن . 5. علم النفس الاجتماعى - العالم الإسلامى - الدراسات الميدانية . 6. الإسلام - حركات الإحياء والاصلاح والتجديد - شبهات . 7. زينب بنت على بن أبى طالب (س)، 6-62هـ. - روابط - علم النفس الاجتماعى . ألف. السلسلة. ب. العنوان

BP 229 .H3767 D97 2014

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1

اشارة

دور الخطاب الدينى فى تغيير البنية الفكرية بين الإصلاح والإفساد

خطاب زينب عليها السلام فى مجتمع الكوفة أنموذجاً

دراسة فى ضوء القرآن و السنة علم النفس الاجتماعى

دراسةً وتحليلً وتحقيقً

السيد نبيل الحسنى

إصدار

شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية

فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

ص: 4

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1435هـ - 2014م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الإهداء

إلى عقيلة الطالبين

وحفيدة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

إلى شبيهة خديجة الكبرى و بنت فاطمة العظمى عليهما السلام.

إلى شبه النبأ العظيم ولسان إمام المتقين عليه السلام.

إلى ريحانة رياحين حبيب رب العالمين عليهما السلام.

إلى قرة عين الحسن ونور عين الحسين عليهما السلام.

إلى عمتي السيدة زينب عليها السلام

أهدى هذا العمل.

خادمكم وولدكم نبيل

مقدمة الكتاب

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، جم عن الإحصاء عددها ونأى من الجزاء أمدتها وتقوات عن الإدراك أبدها(1).

والصلاة والسلام على خير الأنام أبي القاسم محمد وعلى آله الهداة إلى الإسلام؛ وبعد:

إن النظر إلى الدعوات والأبحاث التي أخذت بعهدتها تناول الخطاب الديني في وقتنا المعاصر مع كثرتها تدفع بالإنسان إلى التأمل والتفكير في هذا العرض الذي بدأ يعلو وسائل نقل المعلومة إلى الناس جميعاً سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية.

ويمكن لنا من خلال هذه القراءة والتأمل أن نخلص إلى مجموعة عناوين ركزت عليها هذه الدعوات والأبحاث، فكانت كالاتي:

1- هذا ما ابتدأت به بضعة النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها بالمسجد النبوي الشريف.

1 __ تجديد الخطاب الدينى.

2 __ سمات الخطاب الدينى.

3 __ نقد الخطاب الدينى.

4 __ آليات الخطاب الدينى.

فهذه العناوين وإن كانت متقاربة فى الغاية وهى معالجة المجتمع المسلمين لما أصابه من تدهور وتفرق وتناحر فضلاً عن الاختلاف فى المفاهيم القيمة.

إلاّ أنها لم تستطع من وضع يدها على الجرح وذلك لعدم تمكنها من تقديم رؤية مجردة عن القيم النشئية والعقدية التى ينهل منها الكاتب؛ بل إن الاتقياد لهذه القيم كان هو المحرك لهذا الخطاب.

ومن ثم لم يزل الخطاب الدينى هو هو، بل لا يمكن أن يخرج هذا الخطاب عن عنوانه (الدينى) وهو مقيد بتلك النشأة والعقيدة.

وعليه:

لابد من الرجوع أولاً إلى عناصر أساسية كانت بمجموعها مكونات لهذا الخطاب وهى كالاتى:

1 __ ما هو الدين كى ينسب إليه الخطاب فتكون سمته دينياً؛ وبمعنى آخر: مرجعيات هذا الخطاب ومناهله.

2 __ ما هى آليات فهم النص الدينى، ومن وضعها؟

3 __ من هم أهل الدين، وما هى سماتهم، ومن حدد هذه السمات؟ وهل اتفق المسلمون عليهم؟

4 __ أعمال العقل أم حاكمية الجهل؟

5 __ قداسة النص أم نص القداسة؟

فهذه العناصر والمكونات للخطاب الدينى لا شك كان لها الدور الفعال والمؤثر فى تغيير البنية الفكرية للمجتمع الإسلامى منذ القرن الأول للهجرة النبوية وإلى يومها هذا.

إلا أننا ومن خلال لوازم المنهج البحثى وجدنا أن التوقف عند هذه المكونات ودراستها يحقق لنا رؤية واضحة عن الخطاب الدينى كما يظهر لنا حقيقة دوره فى تغيير البنية الفكرية للمجتمع الإسلامى الذى كان كتابه القرآن ونبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ثم فإن التوقف عند خطاب العقيلة زينب بنت على بن أبى طالب عليها السلام الذى أعقب التحول الكبير فى تغيير البنية الفكرية للمجتمع المسلم بفعل أدوات الخطاب الدينى فأقدم على قطع رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذبح طفله الرضيع وهو فى حجر أبيه، وسلب بنات على بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبيهن من بلد إلى بلد من بلاد المسلمين!! وهم ينظرون إليهن كأنهم من أهل ملة أخرى؛ فضلاً عن تقطيع رؤوس أبناء على بن أبى طالب عليهما السلام وبعض الصحابة، ومن سار بهديهم، وهم أهل خير القرون __ كما يدعون __ كل ذلك ينص على تحول كبير وتغيير فى البنية الفكرية للمسلمين بفعل الخطاب (الدينى) الذى لم تزل الأمة الإسلامية ترزخ تحت تداعياته حتى

أصبح الناظر لا يعرف من الدين إلا تلك الصور الدموية التي تمنهجت لدى فرق كثيرة، وفئات عديدة فاصطبغ بها خطابها الديني وتأثرت به حواضنها الاجتماعية فتقولبت بها بنيتها الفكرية فكانت خلفاً لذلك السلف مما يتطلب معالجات كالتى اعتمدها عقيلة بنى هاشم فى خطابها الدينى فى تلك المجتمعات الإسلامية التى دخلتها وهى مسببة على الرغم من أن النبى الذى يشهدون له بالنبوة هو جدها صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا:

اتخذنا من خطابها عليها السلام أنموذجاً يعالج البنية الفكرية للمجتمع المسلم لاسيما ونحن نشهد اليوم نسخاً لتلك القيم والمبادئ والنتائج التى أفرزها الخطاب الدينى المفضى إلى تقطيع الرؤوس وذبح الأطفال وسبى النساء.

فأين القرآن وبيانه، وأين السنة وهداياها، وأين الصحابة وإيمانهم، والتابعين وسلوكهم؟ أفكان أهل خير القرون فاقدين لسلمات الخطاب الدينى الذى ينادى به الخلف، أم أن دعوات التجديد يراد بها تحقيق ما عجز عنه بعض السلف؟

إنها أسئلة كثيرة نحاول الإجابة عليها فى هذا البحث.

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}.

{وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

السيد نبيل بن السيد قدورى بن السيد حسن بن السيد علوان بن السيد جاسم بن السيد حسين الحسنى الكربلائى.

المبحث الأول: مصطلح الخطاب الديني، ما هو؟

إشارة

يأخذنا لفظ الخطاب ولفظه الرديف (الديني) إلى بعض المناهل اللغوية وغيرها كي نضع أيدينا على دلالة اللفظ ومن ثم الوصول إلى بغيتنا في معرفة المعنى الذي تركب منه مصطلح (الخطاب الديني).

ولذا: وجدنا أن التوقف عند هذين اللفظين من ضرورات البحث.

المسألة الأولى: لفظ (الخطاب) كما قدمه اللغويون والمفسرون

أولاً: الخطاب لغة

يذهب الفراهيدي (المتوفى 175هـ) إلى اختصار الدلالة ويوجز في البيان فيقول في معنى (الخطاب)، (مراجعة الكلام) (1).

وهي عند الجوهري (المتوفى 393هـ): (وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً) (2)، ويفهم منه ما أراده الفراهيدي، أي: مراجعة الكلام بين المتكلم والسامع.

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي: ج4، ص224.

2- الصحاح للجوهري: ج1، ص121.

فى حين يظهر أحمد بن فارس (المتوفى 395هـ) معنى أوضح لهذا اللفظ، فقال:

(خطب): الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك(1).

وقريب منه قال الزمخشري (المتوفى 538هـ):

خطب: خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة، وكثر خطابها(2).

وقد حاول ابن منظور (المتوفى 711هـ) الجمع فيما قاله أهل اللغة من قبله فقال:

(والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان؛ والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة؛ قال أبو منصور: إن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام، الذى يتكلم به الخطيب فوضع موضع المصدر(3).

ويمكن الخروج بمعنى واحد لهذه الأقوال وهو: الكلام الذى يخرج من فم المتكلم إلى السامع غالباً إذ قد يتوجه المتكلم بالكلام إلى العجماءات،

1- معجم مقاييس اللغة: ج2، ص198.

2- أساس البلاغة للزمخشري: ص239.

3- لسان العرب لابن منظور: ج1، ص360.

ومن ثم لم يقدم أهل اللغة دلالة تفيد تمام المعنى فى ذهن القارئ، إذ لا دلالة لقولهم: مراجعة الكلام بدون قرينة توضح معنى المراجعة وعليه: ينصرف الذهن إلى أنها محصورة بما يتكلم به المتكلم وهو على المنبر أو مكان مرتفع أو فى جمع من الناس قلوا أو كثروا.

وهذا المعنى لا يوصل القارئ إلى المعنى الحقيقى للفظ (الخطاب) ولذا لا بد من الرجوع إلى كتاب الله تعالى وما ورد فيه لهذه اللفظة التى يتكشف معناها من خلال سياق النص القرآنى الكريم. وهو ما نحاول الوصول إليه فى ثانياً.

ثانياً: الخطاب فى القرآن الكريم

إشارة

ورد فى القرآن الكريم بعض الاستعمالات لمادة (خطب) فكانت على خمسة موارد، منها اثنان بلفظ: (الخطاب) وثلاثة منها هى: (خاطبهم) و(تخاطبني) وقد جاءت مرتين، وهى بحسب الذكر الحكيم كانت كالاتى:

ألف:

قال تعالى: {...فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ} (1).

قال الشيخ الطوسى: (أى غلبنى فى محاوره الكلام) (2).

وعند الصنعانى هى: (قهرنى فى الخصومة) (3).

1- سورة ص، الآية: 23.

2- التبيان: ج 1، ص 468.

3- تفسير الصنعانى: ج 3، ص 163.

وعند النحاس: (قهرنى لأنه أعز منى) (1).

وهذه الأقوال الثلاثة قريبة من المعنى اللغوى القائل بأن الخطاب: مراجعة الكلام بين الاثنين، فى حين يستفاد من سياق الآية ودلالاتها بأن الخطاب بيان الحجة والإقناع أو الغلبة فى الكلام.

باء:

قال تعالى: { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ } (2).

والآية المباركة اختلف فى تفسيرها المفسرون وتعددت الأقوال فى معنى ((فَصَّلَ الْخِطَابِ))، على النحو الآتى:

1 __ قال مقاتل بن سليمان: (وأعطيناه فصل القضاء، البينة على المدعى واليمين على من أنكر) (3).

2 __ قال سفيان الثورى: (فصل الخطاب): (فصل القضاء) (4).

3 __ وقد جمع ابن جرير الطبرى مجموعة من الأقوال، فقال:

(واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك: فقال بعضهم: عنى به أنه القضاء والفهم به، قال ابن عباس: أعطيناه الفهم، وعن مجاهد: إصابة القضاء وفهمه، وعن السدى: علم القضاء وعن ابن زيد: الخصومات التى يتخاصم

1- معانى القرآن للنحاس: ج2، ص219.

2- سورة ص، الآية: 20.

3- تفسير مقاتل بن سليمان: ج3، ص115.

4- تفسير الثورى: ص257.

الناس إليه فصل ذلك الخطاب الكلام والفهم، وإصابة القضاء والبيئات، وقال آخرون: بل معنى ذلك وفصل الخطاب، بتكليف المدعى البينة واليمين على المدعى عليه وعن الشعبي: أنه قال: قول الرجل: أما بعد.

ويذهب الطبري بعد عرضه لهذه الأقوال إلى القول:

(وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب والفصل هو القطع، والخطاب هو المخاطبة).

ثم يعترض على هذه التأويلات وذلك لعدم ورود خير فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخلص إلى القول في ذلك، (فالصواب أن يعمّ الخبر كما عمّه الله فيقال: أوتى داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب)⁽¹⁾.

في حين: نجد أن المعنى الألتق لما جاءت به الآية المباركة في بيان معنى فصل الخطاب ما بيّنه السيد العلامة الطباطبائي فقال: (وفصل الخطاب: تفكيك الكلام الحاصل من مخاطبة واحد لغيره وتمييز حقه من باطله وينطبق على القضاء بين المتخاصمين في خصامهم)⁽²⁾.

وهذه الأقوال لم توصل المعنى إلى المستوى الذي ينكشف فيه (فصل الخطاب) وقد جعله الله تعالى من ضمن سلم المنح ومراتبه التي تفضل بها

1- جامع البيان للطبرسي: ج 23، ص 167.

2- تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج 17، ص 190.

على الأنبياء عليهم السلام، كما يشير سياق الآية المباركة، فكان فصل الخطاب استحقاقاً رتبياً كشد الملك، والحكمة؛ وهذه الرتبة، أى الحكمة يتحدث عنها القرآن فى بيان دلالى يرشد إلى حجم فضلها فىمن اختصه الله بها فىقول سبحانه:

1 __ {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (1).

فهذا الخير الكثير يتحدث عنه الإمام الصادق عليه السلام فىقول فى بيان معنى الآية:

«الحكمة ضياء المعرفة، وميراث التقوى، وثمره الصدق، وما أنعم الله على عبد من عباده نعمة أعظم وأنعم وأجزل وأرفع وأبهى من الحكمة للقلب، قال تعالى:

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} (2).

2 __ {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ} (3).

فكان إيتاؤه الحكمة ملازمة للشكر لله.

وقد جاء فى معنى الآية عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

1- سورة البقرة، الآية: 269.

2- مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ص 198؛ البحار للمجلسي: ج 1، ص 216.

3- سورة لقمان، الآية: 12.

«الفهم والعقل»(1).

وعليه:

لم يستطع المفسرون تقديم بيان يكشف معنى ((فَصَلَ الْخِطَابِ)) وسمته التي نالها داود النبي عليه السلام، فضلاً عن ذلك فقد أشارت الروايات الشريفة إلى أنها من بين السمات التي خص الله بها رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعترته أهل بيته عليهم السلام، لاسيما أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليهما السلام؛ فمما كان منها على سبيل الاستشهاد:

1 __ عن أبي الطفيل، قال: (قام أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنبر فقال:

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالنَّبُوَّةِ وَأَصْطَفَاهُ بِالرِّسَالَةِ، فَيَاكَ وَالنَّاسَ وَيَاكَ، وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَفَاتِيحَ الْعِلْمِ، وَأَبْوَابَ الْحِكْمَةِ، وَضِيَاءَ الْأَمْرِ، وَفَصَلَ الْخِطَابِ، وَمَنْ يَحْبِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ، وَيَتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلُهُ، وَمَنْ لَا يَحْبِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ وَلَا يَتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلُهُ، وَإِنْ أَدَّابَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَمْ يَزَلْ»(2).

2 __ وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«أَنَا قَسِيمُ اللَّهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَا يَدْخُلُهَا دَاخِلٌ إِلَّا عَلَيَّ حَدْ قَسَمِي، وَأَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ، وَأَنَا الْإِمَامُ لِمَنْ بَعْدِي، وَالْمُؤَدَى عَمَّنْ كَانَ

1- تحف العقول للحراني: ص 386.

2- المحاسن للبرقي: ج 1، ص 200؛ شرح الأخبار للقاضي المغربي: ج 3، ص 9.

قبلي، لا يتقدمني أحد إلا أحمد صلى الله عليه وآله وسلم وإنى وإياه لعلى سبيل واحد إلا أنه هو المدعو باسمه ولقد أعطيت الست: علم المنايا، والبلايا، والوصايا، وفصل الخطاب، وإنى لصاحب الكرات، ودولة الدول، وإنى لصاحب العصا والميسم، والدابة التى تكلم الناس»(1).

3 __ ومما رواه الصدوق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لفاطمة عليها السلام حينما حضرته الوفاة ورآها تبكى فأخذ يحدثها عن مناقب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كى يذهب عنها الهم والحزن.

والرواية عن سلمان الفارسي عليه الرحمة والرضوان، قال:

(كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى مرضه التى قبض فيها، فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما يبكيك يا فاطمة؟».

قالت:

«يا رسول الله أخشى على نفسى وولدى الضيعة بعدك».

فاغرورقت عيننا رسول الله بالبكاء، ثم قال:

«يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى أطلع

إلى الأرض إطلاعة فاختارني من خلقه فجعلني نبيا ثم أطلع إلى الأرض إطلاعة ثانية فاختار منها زوجك وأوحى إلى أن أزوجك إياه وأتخذته وليا ووزيرا وأن أجعله خليفتي في أمتي فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي، ثم أطلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وولديك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة، وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدى أخى على، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم، أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي، أقدمهم سلما، وأعظمهم حلما، وأكثرهم علما».

فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال:

«يا بنية إن لبعلك مناقب: إيمانه بالله ورسوله قبل كل أحد، فلم يسبقه إلى ذلك أحد من أمتي، وعلمه بكتاب الله عز وجل وسنتي وليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي غير على عليه السلام وإن الله عز وجل علمني علما لا يعلمه غيري وعلم ملائكته ورسله علما فكلما علمه ملائكته ورسله فأنا أعلمه وأمرني الله أن أعلمه إياه

ففعلت فليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي وفهمي وحكمتي غيره، وإنك يا بنية زوجته، وابناه سبطاي حسن وحسين وهما سبطا أمتي، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فإن الله جل وعز آتاه الحكمة وفصل الخطاب، ويا بنية إنا أهل بيت أعطانا الله عز وجل ست خصال لم يعطها أحدا من الأولين كان قبلكم، ولم يعطها أحدا من الآخرين غيرنا، نبينا سيد الأنبياء والمرسلين، وهو أبوك، ووصينا سيد الأوصياء وهو بعلك وشهيدنا سيد الشهداء وهو حمزة بن عبد المطلب عم أبيك».

قالت عليها السلام:

«يا رسول الله هو سيد الشهداء الذين قتلوا معه؟».

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا بل سيد شهداء الأولين والآخرين ما خلا الأنبياء والأوصياء، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة مع الملائكة وإبناك حسن وحسين سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة، ومنا والذي نفسى بيده مهدي هذه الأمة الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما»(1).

والحديث الشريف له تكملة إلا أننا ذكرنا هذا المقدار ففيه الكفاية لبيان ما اختص الله به محمد وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم فكان مما آتاهم

فصل الخطاب.

ومن ثم لا يعد المعنى الذى أشار إليه المفسرون فى بيان ((فَصَلَ الْخِطَابِ)) هو: (أما بعد، أو البينة على المدعى واليمين على من أنكر، أو علم القضاء، أو غير ذلك من مراتب فضال الأنبياء ومختصاتهم التى فضلهم الله بها على الناس) لاسيما ونحن نشهد اليوم كثرة المحاكم والقضاة فى مختلف البلاد والتشريعات.

إذن:

يلزم أن يكون فصل الخطاب من السمات التى انحصرت وجودها فى النخبة المصطفاة من قبل الله تعالى مما يلزم أيضاً أن يكون له معنى آخر أرقى بكثير مما نطق به المفسرون لهذه الآية لاسيما وأنها قدمت الملك، والحكمة لفصل الخطاب فكان من مقتضيات شخصية داود النبى عليه السلام.

بمعنى:

إن فصل الخطاب هو ملكة راسخة فى النفس مختصة بالكلام مع الناس وإقناعهم والتأثير فيهم ومعرفة كوامن منطقتهم فإن حاججوا خصموا وإن خاطبوا أبلغوا، وإن استمعوا فهموا، وإن حاوروا أعلموا؛ ولولا ذلك لما كلفوا بالرسالة والندارة والبشارة وغيرها من وظائف الرسالة الإلهية إلى الخلق.

كما دلت الروايات الواردة عن عترة النبى صلى الله عليه وآله وسلم على هذا المعنى.

أما بقية النصوص القرآنية التي حملت مادة (خطب) فكانت كما فى الفقرة جيم.

جيم:

قال تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (1).

وقد ذهب الزمخشري إلى معنى الآية بقوله: (حادثوهم بما فيه سفة وسوء جهالة) (2).

وقال الشيخ الطبرسى: ((وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ)) بما يكرهونه أو يثقل عليهم ((قالوا)) فى جوابه ((سلا ما)) (3).

دال:

قال تعالى: {...وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا...} (4).

قال الشيخ الطوسى فى بيان معنى ((وَلَا تُخَاطِبُنِي)): (نهى لنوح عليه السلام أن يراجع الله تعالى ويخاطبه ويسأله فى أمرهم بأن يمهلهم، ويؤخر إهلاكهم لأنه حكم بإهلاكهم وأخبر بأنه سيغرقهم، فلا يكون الأمر بخلاف ما أخبر به) (5).

1- سورة الفرقان، الآية: 63.

2- الكشاف للزمخشري: ج 3، ص 283، ط دار الكتب العلمية.

3- مجمع البيان للطبرسى: ج 7، ص 310.

4- سورة هود، الآية: 37.

5- التبيان للشيخ الطوسى: ج 5، ص 482.

وفيد هذا القول للشيخ الطوسي بأن المعنى المراد بـ ((ولا تخاطبني)) مراجعة الله تعالى في الكلام؛ وهو لا يخرج عن المعنى الذي ذهب إليه اللغويون.

ولذا: نجد أن الطبري وغيره من المفسرين، لم يخرج عن هذا المعنى فقال: أي، ولا تراجعني، قال: تقدم أن لا يشفع لهم عنده(1).

هاء:

قال تعالى: {...الرَّحْمَنَ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا}(2).

وفي معناها يقول الزمخشري: (والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه، فما ظنك بمن عداهم من أهل السماوات والأرض)(3).

أي: لا يخرج قول المفسرين عن المعنى الذي أراده اللغويون، ومن ثم يبقى المعنى منحصراً في مراجعة الكلام وهو غاية ما ذهب إليه أهل اللغة والتفسير في بيان معنى (الخطاب).

ثالثاً: ما هي الخطابة؟

عُرِّفت الخطابة: بأنها فن نثرى غايتها التأثير في نفس السامع وهي مصدر خطب يخطب، أي صار خطيباً، وهي على هذا صفة راسخة في نفس

1- تفسير الطبري: ج12، ص45؛ تفسير السمرقندي: ج2، ص149.

2- سورة النبأ، الآية: 37.

3- تفسير الكشاف للزمخشري: ج4، ص210.

المتكلم يقتدر بها على التصرف فى فنون القول، لمحاولة التأثير فى نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم(1).

ولذا:

فإن كل الأمم فى حاجة إلى الخطابة، وكانت العرب من أحوج الأمم إليها ولذلك ارتقت فى الخطابة مرتقى فاقت فيه على غيرها من سائر الأمم إذ لا يخفى ما كانت عليه العرب أيام جاهليتهم من الأنفة والتفاخر بالأحساب والأنساب والمحافظة على شرفهم وعلو مجدهم وسؤددهم حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع العظيمة.

ولا شك أن كل قوم لهم مثل ذلك هم أحوج الناس إلى ما يستنهض هممهم ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدتهم ويشجع جبانهم ويشد جنانهم ويشير أشجانهم ويستوقد نبارهم صيانة لعزهم أن يستهان ولشوكتهم أن تستلان وتشفياً بأخذ الثأر وتحرزاً من عار الغلبة وذل الذمار وكل ذلك من مقاصد الخطب فكانوا أحوج الناس إليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأييد مفاخرهم؛ ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر(2).

وهذا الموروث المعرفى والاجتماعى قد ترك أثراً فى رسم معالم معنى (الخطاب) لدى الإنسان العربى فضلاً عن المسلم وذلك لتبنى النبى المصطفى

1- الخطابة أصولها وتاريخها، تأليف: أحمد أبو زهرة: ص150، ط دار الفكر العربى لسنة 1934، القاهرة.

2- نوح الطيب فى الخطابة والخطيب لمعروف الرصافى: ص5 _ 6، ط مطبعة الأوقاف الإسلامية بدار الخلافة العلية لسنة 1917م، الطبعة الأولى.

صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله عليهم وأصحابه هذا النمط في الحديث مع الناس في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية وما يتعلق بالسلم والحرب وغيرها من شؤون الأمة.

وكيف إذا أخذنا بعين الاعتبار ما شرعه الإسلام من أعمال خاصة ليوم الجمعة فكان سنامها خطبة الجمعة وما تتضمنه من عرض لقضايا الإسلام والمسلمين فعمل ذلك على ترسيخ مفهوم واحد في أذهان المسلمين حول (الخطاب) وهو ما ينطق به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام أو الواعظ في جمع من المسلمين وسمى هذا الكلام بالخطاب.

ثم اتصف بعد ذلك هذا الخطاب بصفة الكلام ومراده الذى قصده الخطيب فكان خطاباً سياسياً حينما يتناول الخطيب شؤون الدولة وسلوكها فإما مؤيد لها أو معارض.

أو يكون الخطاب دينياً، ولمعرفة كونه دينياً فلا بد من معرفة ما هو الدين؟

وهو ما سنتناوله في المسألة القادمة.

المسألة الثانية: ما هو الدين كى يتصف به الخطاب فيكون دينياً؟

إشارة

إن علاقة الإنسان بالدين نشأت منذ أن وجد الإنسان من خلال المنظور القرآنية الذى تحدث عن هذه العلاقة فى علة خلق آدم عليه السلام، فكانت علاقة الخليفة بالخليفة علاقة تلازمية.

أما من المنظور الأنثروبولوجي فإن الإنسان منذ أن فتح عينيه في هذه الحياة وعاش الظواهر الحياتية من جوع وعطش ومرض وخوف وصراع وموت، فضلاً عن تداخل الموجودات الأخرى في حياته كالنباتات والحيوانات والنجوم والمياه والنار والرياح والبراكين والأمطار وغيرها، فإنه بحاجة إلى شىء يعتقد فيه النفع ويدفع عنه الضرر فكانت حاجته إلى المعتقد حاجة فطرية اختلطت فيها حواسه وعقله وقلبه؛ ولذا: نشأ عنده الاحتياج للماورائيات واللامرئيات.

من هنا:

ذهب الفيلسوف (هيجل) إلى: (أنّ الإنسان وحده هو الذى يمكن أن يكون له دين، وأنّ الحيوانات تفتقر إلى دين بمقدار ما تفتقر إلى القانون والأخلاق)⁽¹⁾.

والسبب فى ذلك يعود إلى: (أنّ التدين عنصر أساسى فى تكوين الإنسان، والحس الدينى إنما يكمن فى أعماق كل قلب بشرى، بوهر فى صميم ماهية الإنسان مثله فى ذلك مثل العقل سواء بسواء)⁽²⁾.

ويبقى السؤال يبحث عن إجابة أوضح، ما هو الدين؟

1- مجلة المعرفة، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص7، نقلاً عن: موسوعة العلوم النفسية لهيجل: ص47 __ 48، ترجمة د. إمام عبد الفتاح، ط دار التنوير.

2- المصدر السابق، نقلاً عن: الزمان والأزل، مقال فى فلسفة الدين: ص40، ترجمة الدكتور زكريا إبراهيم.

أولاً: تعريف الدين

إن تعدد المعتقدات وتنوع الديانات واختلاف المذاهب كل ذلك جعل للدين مجموعة من التعريفات، فكانت كالاتي:

1 __ يعد الدين بمثابة أداة روحانية لبناء القيم البشرية وأحداث تعديلات داخلية إيجابية في النفس البشرية بحيث تسعى إلى الخير والحق والإحساس والمسؤولية اتجاه كل من النفس والأسرة والمجتمع بعامة، والابتعاد عن الخطيئة.

وعرّف أيضاً: بأنه اعتقاد الناس بوجود ذات أو ذوات فوق البشر والطبيعة، لها قدرات على تدبير شؤون البشر والكون، الأمر الذي يدعو إلى وجوب علاقة بين البشر وتلك القوى المدبرة.

كما عرّف الدين: بأنه نظام من أنظمة الإيمان والعبادة، فهو عبارة عن مجموعة من المعتقدات المقدسة المؤكدة مع إيراد بعض التكاليف الواجب مراعاتها وبعض الممارسات الاجتماعية.

ويرى آخرون أن الدين استرضاء لقوة عليا ليطلب منها العون حيث قدرتها في التحكم بالحياة، فالدين إذاً أمران؛ أولهما الاعتقاد بوجود قوى عليا متحكمة، وثانيهما إجراء ممارسات لإرضاء هذه القوى العليا(1).

في حين كان لتعريف الدين عند علماء المسلمين معنى آخر، فمنها:

1- جغرافية المعتقدات الدينية لمحسن عبد الصاحب المظفر: ص 61.

1 __ قال الشيخ الطوسي رحمه الله (توفى سنة 460هـ) في بيان معنى قوله تعالى:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (1).

(معنى الدين ههنا الطاعة، فمعناه إن الطاعة لله عز وجل هي الإسلام) (2).

2 __ وعرف الدين السيد العلامة الطباطبائي (توفى سنة 1412هـ) فقال:

(الذى يدعى إليه الناس بمنطق الدين الإلهي: هو الشرائع والسنن القائمة بمصالح العباد في حياتهم الدنيوية والأخروية، لا أنه يضع مجموعة من معارف وشرائع ثم يدعى أن المصالح الإنسانية تطابقه وهو يطابقها، فافهم ذلك، وإياك أن تتوهم أن الدين الإلهي مجموعة أمور من معارف وشرائع جافة تقليدية لا روح لها إلا روح المجازفة بالاستبداد، ولا لسان لها إلا لسان التأمير الجاف والتحكم الجافى، وقد قضى شارعها بوجوب اتباعها والالتقياد لها تجاه ما هيأ لهم بعد الموت من نعيم مخلد للمطيعين منهم، والعذاب المؤبد للعاصين، ولا ربط لها يربطها بالنواميس التكوينية المماساة للإنسان الحاكمة في حياته القائمة بشؤونها القيمة بإصلاحها فتعود الأعمال الدينية أغلالا غلت بها أيدي الناس في دنياهم، وأما الآخرة فقد ضمنت إصلاحها إرادة مولوية

1- سورة آل عمران، الآية: 19.

2- التبيان للشيخ الطوسي: ج 2، ص 418.

إلهية فحسب، وليس للمنتحل بالدين فى دنياه من سعادة الحياة إلا ما استلذها بالعادة كمن اعتاد بالأفيون والسم حتى عاد يلتذ بما يتألم به المزاج الطبيعى السالم، ويتألم بما يلتذ به غيره.

فهذا من الجهل بالمعارف الدينية، والفرية على ساحة شارعها الطاهرة يدفعه الكلام الإلهى، فكم من آية تتبرأ من ذلك بتصريح أو تلويح أو بإشارة أو كناية وغير ذلك.

وبالجملة الكتاب الإلهى يتضمن مصالح العباد، وفيه ما يصلح المجتمع الإنسانى بإجرائه فيه، بل الكتاب الإلهى هو الكتاب الذى يشتمل على ذلك، والدين الإلهى هو مجموع القوانين المصلحة، ومجموع القوانين المصلحة هو الدين فلا يدعو الدين الناس إلا إلى إصلاح أعمالهم وسائر شؤون مجتمعهم ويسمى ذلك إسلاماً لله، لان من جرى على مجرى الإنسان الطبيعى الذى خطه له التكوين فقد أسلم للتكوين ووافقه بأعماله فيما يقتضيه وموافقته والسير على المسير الذى مهده وخطه إسلام لله سبحانه فى ما يريد منه (1).

3__ قال الباقلانى (المتوفى سنة 403هـ) فى معنى الدين:

(فإن قال قائل: فما معنى الدين عندكم؟ قيل له معنى الدين يتصرف على وجوه، منها:

ألف: الدين بمعنى الجزاء؛ ومنه قوله تعالى:

1- تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج 8، ص 300.

{مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ} (1).

باء: ومنها، قول الشاعر:

واعلم وأيقن أن ملكك زائل

واعلم بأن كما تدين تدان

جيم: وقد يكون بمعنى الحكم كقوله:

{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} (2).

دال: وقد يكون الدين بمعنى الدينونة — بالمذاهب والملل، ومنها قوله: فلان يدين بالإسلام أو اليهودية؛ أى إنه يتدين بذلك على معنى أنه يعتقد وينطوى عليه ويتقرب به.

هاء: والدين أيضاً بمعنى الاقنياد والاستسلام لله عزّ وجل، من ذلك قوله:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (3).

يريد دين الحق لا على أن اليهودية لا تسمى ديناً فى اللغة وغيرها فى الأديان(4).

4— قال الشهرستاني (المتوفى سنة 548هـ) فى الملل والنحل فى بيان معنى الدين:

1- سورة الفاتحة، الآية: 4.

2- سورة يوسف، الآية: 76.

3- سورة آل عمران، الآية: 19.

4- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني: ص 387.

(معنى الدين أنه الطاعة والانقياد، وقد قال الله تعالى:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}.

وقد يرد معنى الجزاء، يقال كما تدين تدان، أى كما تفعل تجازى وقد يرد معنى الحساب يوم المعاد والتناد، قال تعالى:

{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} (1).

فالمتدين هو المسلم المطيع المعز بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد، قال الله تعالى:

{وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (2).

ولما كان نوع الإنسان محتاجا إلى اجتماع مع آخر من بنى جنسه فى إقامة معاشه والاستعداد لمعاده، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع هذه على الهيئة هى الملة، والطريق الخاص الذى يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج والشرعة (3).

ثانيا: الاتجاهات المعاصرة لبيان معنى الدين وفهمه

إشارة

هناك اتجاهات ثلاثة معاصرة ظهرت فى الساحة الفكرية بين المدارس الشرقية والغربية لتتنقل فهمها عن الدين وبيان معناه، وذلك حسب الآتى:

1- سورة التوبة، الآية: 36.

2- سورة المائدة، الآية: 3.

3- الملل والنحل للشهرستاني: ج1، ص38.

ألف: فكرة الدين بمنظار رأسمالي برجوازي

يندرج هذا الاتجاه في ضمن معطيات ثقافية مستمدة من تجرد أصحابها من الاعتقاد بوجود الله عزّ وجل، ومن ثم أخذت تبحث عن البديل في فهم ما يختلج في عقل الإنسان وانقياد فطرته إلى اللجوء إلى القوة المدبرة لهذا الكون، ولذا؛ حينما انحصر هذا الفهم في المادة ظل الفهم يدور في فلكها فتتج عنه تصورات __ فاسدة __ عن الدين الذي ينقاد له العقل؛ بمعنى: أن لهذا الكون مدبراً واحداً وهو الله تعالى.

أما أول من طرح هذا المجال (فهو توماس غوبس __ 1588، 1679م) فكوّن فكرة عن جوهر الدين مفادها: أنه يقوم على اختلافات تطلقها الدولة، أما التلفيقات الصادرة عن غير الدولة فهي مجرد خرافات.

وإن أفكاراً مماثلة أطلقها (بينيد يكت) (1622 __ 1677) تقول: إن جذور الدين كامنة في عدم ثقة الإنسان بقواه وفي تقلبه الدائم بين الأمل والخوف.

وقدم (جون تولاند) في أوائل القرن الثامن عشر (عرضاً مفاده، أن أكثر الأشكال تقدماً للدين الوثني هو الإيمان بالروح ووجودها بعد الموت، وبهذا كشف عن نشوء عبادة (عالم الموتى لدى المصريين القدماء).

ويرى (بول أندى غولباخ) بأن الدين يرتبط بالخداع، وأن جذوره تتصل بالمآسى والخوف لدى البشر المعذبين، ويرى أن البدء كان الخوف لدى البشر المعذبين الأولين، فاعتقدوا أن الكوارث الطبيعية بالذات ما هي إلا أشياء

مادية، ثم أصبحوا يخضعون لموجودات غير مرئية، وكأنها تقاد وتوجه من هذه الأشياء، وأخيراً مع تطور تصوراتهم، وتوصلوا إلى فكرة وحدة السبب الأول (العقل الأسمى، الإله).

وظهر في نهاية القرن الثامن عشر في فرنسا المفكران (فولينه) و(ديويوي) اللذان توصلا إلى أصل الدين وتطوره، ودعيت نظريتهما فيما بعد بالطبيعية أو السماوية، حيث تطور الوعي السماوي (الميثولوجي) عند الإنسان عن العالم.

ثم تطورت المدرسة الميثولوجية في بداية القرن التاسع عشر، حيث تم التوصل إلى أن القدماء كانوا في معتقداتهم يؤلهون الظواهر السماوية(1).

باء: التفسير الأنثروبولوجي للدين

حاول في هذا المنحى (لودفيكل فيورباخ) تفسير جوهر الدين وجعله مبنياً على الأساس البشري الأنثروبولوجي وذلك سنة 1845م، وإن مادة الدين ما هي إلا مادة المصالح البشرية ومتطلباتها وأن الآلهة تجسيد لرغبات الإنسان.

وبنى (ادوارد تايلور) نظريته الثقافية البدائية والتي سماها بـ (النظرية الروحية) (الأنيمية) حيث يشكل الإيمان بـ (الموجودات الروحية) الحد الأدنى للدين أي الأنفس والأرواح وما يماثلها، لقد تولد هذا الإيمان بسبب الاهتمام

الخاص الذى أولاه الإنسان البدائى لتلك الظواهر المعينة التى كان يعانيتها مع أقرانه: الحلم، الغيبوبة، الهلوسة، الأمراض، وآخرها الموت، ولقصوره فى تكوين فهم صحيح يفسر أمثال هذه الظواهر، استقر رأيه على تصوير النفس فيه، مرافقاً صغيراً يستقر فى جسد الإنسان قادراً على مغادرته لفترة أرواح الأموات ومصائرهما وعن انتقال الأنفس إلى أجساد جديدة أو عن عالم خاص بعد الموت وما شابه، وتتحول الأنفس تدريجياً إلى أرواح ومن ثم إلى آلهة، تنتهى إلى إله واحد وهكذا حدث الارتقاء التدريجى من (الأنيمة البدائية).

وقد جرت اعتراضات كثيرة على النظرية الأنيمية من المدافعين عن الدين، الذين رأوا فى الأنيمة نقيضاً للمبادئ الإنجيلية الكنيسية وظهرت نظرية (التوحيد البدائى) كبديل ونقيض للنظرية الأنيمية، وقد أوردت أفكاراً عن الإلهية السماوية واعتقاد الشعوب القديمة البدائية فى إله خالق واحد(1).

جيم: النظرية الاجتماعية فى تفسير الدين

ولد هذا الاتجاه فى أواخر القرن التاسع عشر وهو يؤلف مدرسة فرنسية اجتماعية جاء بها (إميل ديور كهايم) (1858 __ 1917م)؛ إذ أعلن ديور كهايم عن أن الدين ظاهرة اجتماعية (أشكال الحياة الدينية الأولى، النظام الطموطى فى أستراليا)، وانتقد المذهبين الطبيعى (Naturism) والروح (Animism) فى أصل الدين، واعتقد أن المعتقدات الدينية، لم تتولد لا بمراقبة الإنسان للطبيعة الخارجية ولا بمراقبته للطبيعة الخاصة به، فهذه المعتقدات

أمكن تواجدها في المجتمع فحسب (التصورات ضمن المجموعات) والتي لا تقتبس بالتجربة بل بالوعي الإنساني للوسط الاجتماعي.

إن أشكال المجتمع المختلفة ومراحلها توجد أشكالاً من الدين مختلفة، وبذلك وجدت نظريته نجاحاً برغم ما انتابها من أخطاء، أبرزها تأكيده على خلود الدين بدوام بقاء المجتمع.

وظهرت إثرها نظريات اجتماعية أخرى حول الدين منها ما أطلقه الباحثان (د. ديوي وو. جيمس) من وجهة نظر نفعية (أن الأمر الهام في الدين ليس ما إذا يستجيب لحقيقة ما قائمة بشكل إيجابي، بل لمجرد ما إذا كانت مفيدة للناس أم لا)، وقد وجد الناس الدين نافعاً، فهو إذا حقيقة وفائدته تتجلى بتنظيم المجتمعات وتقديم العون، وإخراج الناس من الفوضى الاجتماعية (1).

وهذه التعريفات وإن كانت تقدم تصوراً عن معنى الدين في الثقافات المختلفة إلا أن البحث يرمى إلى أن معنى الدين الذي اتّصف به الخطاب هو الإسلام لاسيما ونحن قد اتخذنا خطاب العقيلة زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام أنموذجاً لهذا البحث لنظهر من خلاله الأدوات التي أمكنت العقيلة زينب عليها السلام في تغييرها للبيئة الفكرية في المجتمعات الإسلامية التي مرت بها وخطبت الناس فيها لاسيما في الكوفة وهي عينة البحث والدراسة.

فكان خطابها للجند في كربلاء وإن بدا مختصراً على بعض الجمل لكنه أوقع في النفس من ضرب السيوف فضلاً عن تبعات تلك الألفاظ التي نطقتها ابنة علي عليه السلام على مر التاريخ حينما تتجدد تلك الحواضن الفكرية والنفسية لإنتاج دفعة جديدة من تلك العقول التي أقدمت على ذبح ابن بنت نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا:

فلا بد من التفريق بين الإسلام بثوابته ونصوصه المقدسة وحدوده البينة وبين فهم هذه الثوابت والنصوص وإقحامها في أنها دينية لغرض إكسابها صفة الطاعة والانقياد وأقله التأثير بها، ولذا:

لا بد من الوقوف عند مرجعيات الخطاب الديني ومناهله، وهذا ما سنتناوله في المبحث القادم.

المبحث الثاني: مرجعية الخطاب الديني ومناهله

اشارة

قد يبدو العنوان فى بداهته فىكون الجواب لدى القارئ حاضراً فى معرفة مرجعية الخطاب بصفته (الدينى)، أى لابد أن يستند الخطاب إلى الدين ولا بد أن يكون المتلقون متدينين وإن اختلفت لديهم المستويات المعرفية للدين وتطبيقاته فى الحياة.

وعليه:

يصبح من البداهة بمكان أن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية والسلف هم المناهل الأساس لهذا الخطاب الدينى، ومن ثم تصبح الحاكمة للنص، والنص فقط.

والنص حسب تلك المعطيات ينقسم إلى ثلاثة مناهل، وهى:

المسألة الأولى: دور القرآن فى مرجعية الخطاب الدينى

يعتمد الخطاب الدينى بالدرجة الأساس على القرآن الكريم فى شحذ الخطاب بنصوصه الشريفة بلحاظ إنه كتاب الله تعالى ومرجع التشريع

الإسلامى الأول فضلاً عن حاكميته التى يفرضها الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الكتاب الذى نزل به الوحي عليه السلام على قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ثم اكتساب هذا الخطاب تلك الحاكمية التى يفرضها الإيمان بالقرآن الكريم وتسيير المجتمع المسلم لهذه الحاكمية التى انتهت منها الخطاب سلطته على المجتمع.

ولكن: ثمة مشكلة كبيرة فى اكتساب الخطاب الدينى قوة الإصلاح المجتمعى حينما يستل منه الخطاب هذه الخصوصية عند إرجاعه إلى القرآن الكريم لينتهل منه الخطيب أو المتكلم خطابه الدينى، وذلك أن القرآن الكريم فيه المحكم والمتشابه والظاهر والباطن ومن ثم كيف سيصل المتكلم إلى مراد الآية ليستل منها حاكمية على المتلقى؟ والقرآن فيه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ؛ وعليه: فنحن بحاجة إلى أهل القرآن والتأويل ليصح بذلك الأساس الأول فى مرجعية الخطاب الدينى والذى من خلاله يتحقق الإصلاح.

وفى ذلك يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه الصلاة والسلام:

«يا معاشر الناس سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى فإن عندى علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنى لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب».

ويقول:

«يا رب، إن علياً قضى بقضائك، والله إنى لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه، ولولا آية فى كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة».

ثم قال:

«سلونى قبل أن تفقدونى، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية، آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيما نزلت، وأنبأتكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها، والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدتها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة»⁽¹⁾.

ولفقدان هذا الاختصاص المعرفى فى القرآن فى بواطنه وظواهره يبقى الخطاب الدينى منذ عهد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مقيداً فى عملية الإصلاح بذلك التخصص القرآنى الذى حدده أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام.

إذن:

لم يزل القرآن هو المرجع الأول والمنهل الأساس فى بناء مكونات الخطاب الدينى، ويبقى الإصلاح والإفساد مرهوناً بتلك المعرفة بكتاب الله تعالى، وهو ما جعل هذا الخطاب يتفاوت فى التأثير فى المجتمعات التى يلقى فيها فضلاً عن الأفراد.

1- الإرشاد للشيخ المفيد: ج 1، ص 35؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج 40، ص 144.

المسألة الثانية: دور السنة النبوية في مرجعية الخطاب الديني

لا تختلف السنة النبوية عن القرآن الكريم في كونها الأساس الثاني لمرجعية الخطاب الديني وثاني منهل معرفي له، إلا أن هناك فرقاً بين القرآن والسنة النبوية في كونهما المنهلين اللذين يستلهم منهما الخطاب الديني مادته الخطابية أو بالأعم مادته المعرفية.

وهو أن القرآن قد حفظه الله تعالى من التحريف بينما الحديث الشريف تعرض للدس والتحريف مما حدا بكثير من العلماء إلى تأسيس علم الرجال والجرح والتعديل لغرض النظر في سند الحديث النبوي الشريف، وذلك لكثرة ما تعرض له هذا المنهل المعرفي من الدس والتلفيق والكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولولا ذاك لما احتاج علماء المسلمين إلى الجرح والتعديل.

وهذا أولاً.

وثانياً: حتى مع وجود الجرح والتعديل وعلم الرجال لم يسلم الحديث الشريف من التعرض للتحريف والتزييف، وذلك لما مرت به الأمة منذ عهد النبوة من التربص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقليب الأمور له حتى باتت هذه الحقيقة ظاهرة لكل مسلم لاسيما وإن الوحي قد نطق بها واضحة جليلة لمن كان له قلب يفقه به الأمور.

قال تعالى في بيان خطر المنافقين.

1 _ { لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ

أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهِونَ {1}.

2 _ {إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ} {2}.

وغيرها من الآيات التي تخبر عن حال تلك الزمرة ودورها التخريبي في المجتمع المسلم؛ والسؤال الذي يفرضه البحث: إذا كان هؤلاء المنافقون هذا فعلهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الإسلام فكيف حالهم وفعلهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن زال عنهم الحذر فيما كانوا يبيتون من المكر والخديعة والضرر بالإسلام والمسلمين.

قال تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ} {3}.

ولعل الرجوع إلى كتب التاريخ والسيرة والأدب وغيرها لمراجعة تلك الحقبة الزمنية وما دار فيها من أحداث ليغنى القارئ والباحث عن إيراد تفاصيل أكثر، ولذا: نكتفى بشاهد عيان على ما حدث وهو من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ألا وهي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ تصف حال المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول عليها الصلاة والسلام:

1- سورة التوبة، الآية: 48.

2- سورة التوبة، الآية: 50.

3- سورة التوبة، الآية: 64.

«فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم دار أنبيائه وأتم عليه ما وعده، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الأقلين، وهدر نيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم، فدعاكم وألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير أبلكم، وأوردتم غير قربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل زعمتم خوف الفتنة.

{أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} (1)«(2).

فهذا يدل على الحالة التي أصبحت عليها الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما دعا بكثير من أولئك الرموز إلى التحزب والتكتل فانبرى منهم من تصدى إلى تسخير كل الطاقات من أجل إثبات السلطة وتهيئة السبل لمكوث أصحابها فضلاً عن توظيف الإمكانيات لخدمة المصالح والمنافع الشخصية والفئوية والقبلية، مما انعكس على رواية الحديث الشريف فصيغت بصياغات متقنعة وألفاظ ذات دلالات مسخرة لثبوت الملك والسلطنة كما ورد في صحيح مسلم.

(قال حذيفة بن اليمان: قلت يا رسول الله __ صلى الله عليه وآله وسلم

1- سورة التوبة، الآية: 49.

2- الدرر النجفية للمحقق البحراني: ج3، ص360؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج16، ص251؛ السقيفة وفدك للجوهري: ص143.

__ إنا كنا بِشْرٍ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال:

«نعم».

قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال:

«نعم».

قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال:

«نعم».

قلت: كيف؟ قال:

«يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهدأى، ولا يستنون بسنتى، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان أنس!».

قال، قلت: كيف أصنع، يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟! قال:

«تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع، وأطع»⁽¹⁾.

والسؤال الذى يفرضه البحث:

1 __ إذا كان هؤلاء الأئمة لا يهتدون بهدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! ولا يستنون بسنته! وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان أنس!!

1- صحيح مسلم، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن: ج6، ص20؛ السنن الكبرى للبيهقى: ج8، ص157.

فعلى ماذا يطيعهم المسلم وهذا حالهم؟! وأين هذا من قوله تعالى الذى يأمر النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقتال المنافقين والكفار وجهادهم، فقال سبحانه:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (1).

2 __ لا- شك أن هؤلاء الأئمة إما يكونون مع السلطان وإما ضده، فإن كانوا ضده قاتلهم وإن كانوا معه بذل لهم الأموال وهباً لهم مصالحهم وحينها ما هى وظيفة المسلم حينما يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كوظيفة دينية وتكليف شرعى، أتره يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويطيع الأمير الذى احتضن هؤلاء الأئمة أم يجاهد أئمة الكفر مهما يعرضه لعقوبة الأمير، كيف سيصنع المسلم؟

3 __ هؤلاء الأئمة الذين لا يهتدون بهدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستنون بسنته ما هى علاقتهم بالأمرء ولماذا يقدمهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديثه على الأمرء، ومن ثم كيف يتعامل الأمير مع أولئك الأئمة أتره يدافع عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم لا؟

4 __ والأمر الخطير كيف يكون حال الأمة الإسلامية إذا وظف الأمير هؤلاء الأئمة الذين لا يهتدون بهدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستنون بسنته لأغراضه الشخصية؟! وكيف سيتحقق الإصلاح أم الإفساد فى

الخطاب الدينى، بل كيف سيوظف هذا الحديث فى خدمة الأمراء والساسة فىكون الخطاب الدينى لا دينيًا إلا بما يخدم الأمراء.

إذن:

يدل هذا الحديث وغيره على أن الأساس الثانى لمرجعية الخطاب الدينى ومنهله المعرفى قد ملأه أولئك المنافقون وأرباب السياسة والمصالح بالنقائض فأصبح الخلل فى الأسس الذى قام عليها الخطاب الدينى، مما يستلزم تنقية هذه الأسس تنقية علمية شرعية يكون المرجع فيها الثقلين كتاب الله وعتره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كى يأمن المسلم من الضلال وهو ما أوصى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم به المسلمىن.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنى تارك فىكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى وإتھما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»(1).

المسألة الثالثة: دور السلف فى مرجعية الخطاب الدينى

إشارة

من هم السلف؟

أولاً: السلف لغة

جاءت مفردة السلف فى اللغة على النحو الآتى؛ قال ابن فارس: السىن

1- مسند أحمد: ج3، ص14؛ سنن الترمذى: ج5، ص329، برقم 3876.

واللام والفاء أصل يدل على تقديم وسبق، من ذلك: السلف الذين مضوا(1).

وقال ابن منظور: السلف، أى الجماعة المتقدمون(2).

وقيل: السلف من تقدمك من آبائك وذوى قرابتك الذين هم فوقك فى السبق والفصل(3).

ثانياً: السلف اصطلاحاً وفقها

قيل فى الفتاوى: السلف هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى، الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخير فى قوله:

«خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته».

والسلفيون: جمع سلفى نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة(4).

وهذا التعريف يرشد القارئ إلى أن هذه المرجعية هى أوسع من

1- مقاييس اللغة لابن فارس: مادة سلف.

2- لسان العرب لابن منظور، مادة سلف.

3- المصدر السابق.

4- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء _ جمع الدويش: ج2، ص165.

المرجعيات السابقة أى القرآن والسنة، وذلك لاشتغالها على جميع الناس فى فترة زمنية مقدارها ثلاثمائة عام؛ ومن ثم فالخطاب الدينى المعاصر هو أصعب بكثير مما كان عليه أهل القرون الثلاثة أنفسهم وذلك أن أهل القرن الأول وبحسب مقاصد الحديث كانوا يرجعون على القرآن والسنة وأهل القرن الثانى أصعب من القرن الأول بنسبة ما وذلك لرجوعهم إلى الناس فى القرن الأول فضلاً عن القرآن والسنة ناهيك عن احتفاظ الناس بتلك المفاهيم والقيم التى جاء بها الإسلام ولعدم دخول ثقافات وقيم وافدة مما يعنى أن الأزمنة المتعاقبة يصبح فيها الخطاب أكثر عسراً لاسيما وقد شهد الحديث الشريف ظاهرة تقشى الكذب، فضلاً عن الأيمان الكاذبة والشهادة المزورة لأهل القرن الرابع فكيف بعد مرور أربعة عشر قرناً؟!

وعليه:

فثمة أسئلة كثيرة يفرضها هذا المصطلح وتعريفه وما استند إليه علماء أهل الجماعة فيما رواه البخارى وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«خير الناس قرنى...»⁽¹⁾.

وهذه الأسئلة يفرضها البحث وهى كالتى:

1 _ إن الاعتماد على جميع هؤلاء الناس فى ثلاثمائة عام، أى لأجيال

1- صحيح البخارى، كتاب الشهادات: ج3، ص151؛ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود: ج1، ص378.

متعددة فى مرجعية الخطاب الدينى والانطلاق منهم فى عملية الإصلاح والإفساد يعد من أكبر المخالفات للقرآن والسنة وذلك:

ألف: قد تحدث القرآن عن الناس فى القرن الأول لاسيما أولئك الذين شهدوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوه فى مكة والمدينة ومنهم الصالحون والمجاهدون ومنهم من عرفهم القرآن للنبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بالنفاق فكانوا هم:

{الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (1).

وإن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم القرآن فى سور عدة وآيات كثيرة وأفرد لهم سورتين تتحدثان عن أحوالهم فكانت سورة التوبة أو البراءة هى أول براءة من الله ورسوله منهم، فضلاً عن تخصيص الوحى لسورة سميت باسم المنافقون؛ ومن ثم هؤلاء كانوا من الناس، ومن أهل القرن الأول فكيف يكونون هؤلاء خير الناس فيما لو تم الإطلاق للفظ الخيرية فكان متلازماً مع لفظ الناس.

باء: إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من عانى منهم وقد نص القرآن على مكرهم الذى تزول منه الجبال وفسادهم فى المجتمع فقال عز وجل:

{لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} (2).

1- سورة المنافقون، الآية: 4.

2- سورة التوبة، الآية: 48.

وعليه: فأى خيرة لهؤلاء؛ بل إن تردى الخطاب الدينى وانحرفه عن غايته التى جاء بها الإسلام وهو الإصلاح فكان الإفساد ثمرة هذا الخطاب أينما حل حينما يركز على عدم التفريق بين أهل الصلاح والجهاد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين المنافقين منهم.

2__ قد شهدت مصادر المسلمين من السيرة والتاريخ والحديث والتفسير والرجال والتراجم والأدب وغيرها على حوادث عديدة جرت خلال هذه القرون الثلاثة بل إن القارئ للتاريخ الإسلامى ليجد أن أعظم الحوادث التى وقعت فى الإسلام كانت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفى النصف الأول من القرن الأول للهجرة فسفكت دماء الصحابة وانتهكت حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة بيت الله الحرام وقتل أهل بدر وحنين وقتل الخلفاء.

فأبو بكر مات مسموماً، وعمر بن الخطاب قتل طعنًا وبقرت بطنه، وعثمان بن عفان قتل فى داره وأمام نسائه بيد أهل هذا القرن وفيهم صحابة النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأما ما لاقاه أهل البيت النبوى من القتل والانتهاك والسلب ما لم يحدث فى أمة من الأمم فأول المظلومين من آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ولذا: فهو أول من يجثو للخصومة يوم القيامة كما أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجه البخارى فى الصحيح(1).

3 __ وثمة سؤال آخر: كيف سيكون شكل الخطاب الدينى فيما لو كان المرجع فيه والمنهل الذى ينهل منه أحد أولئك السلف الذين اشتركوا فى قتل عثمان بن عفان، وكيف يكون الخطاب فيما لو كان المرجع فيه أصحاب معاوية الذين قتلوا عمار بن ياسر؛ وكيف يصنع أصحاب الخطاب الدينى فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنه قال لعمار بن ياسر عليه الرحمة والرضوان وهو يخبره بما تؤول إليه عاقبة أمره وخاتمة حياته، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا عمار تقتلك الفئة الباغية»(1).

فهلا كان أصحاب الخطاب الدينى قد نظروا إلى هذا الحديث النبوى حينما كان أهل الفئة الباغية هم مرجعهم فى صياغة خطابهم الدينى، أترى يتحقق الإصلاح فى المجتمع مع وجود البغاء أم أن الإفساد والفساد ثمار الفئة الباغية؟

4 __ كيف نضع بتلك الاختلافات التى وقعت فيما بينهم، أى الصحابة وقد حمل بعضهم السيف فى وجه البعض الآخر، وكيف نبني قيم ومفاهيم الخطاب الدينى فى المجتمع؛ بل كيف سيكون مفهوم التدين حينما نجد التأريخ يتحدث عن تعدى بعضهم للحدود الشرعية كالقتل كما حدث لعثمان بن عفان، وسيد الأنصار سعد بن عباد(2) ضمن مسلسل الاغتيالات، وقتل

1- مسند أحمد: ج2، ص161، عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ صحيح مسلم، باب: لا تقوم الساعة: ج8، ص186.

2- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج3، ص253؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج1، ص106؛ المصنف لعبد الرزاق الصنعانى: ج3، ص597.

طلحة بن عبيد الله بسهم رماه مروان بن الحكم فى معركة الجمل (1)، فضلاً عن الوقوع فى الزنا كالمغيرة بن شعبة (2)، فأين هذه الأفعال من مفهوم الخيرية وأى نسبة لها من الدين كى يكونوا أهل الدين مثلاً؟!

وعليه:

فقد توقف بعض حفاظ المسلمين وعلماء العامة والسنة والجماعة فى أن أهل القرون الثلاثة هم خير الناس وأن هذا الحديث لا مصداقية له مع واقع القرآن والسنة والتاريخ وهو ما سنعرض له فى (ثالثاً).

ثالثاً: توقف بعض علماء أهل السنة والجماعة فى حصر الخيرية فى أهل القرون الثلاثة الأولى

إشارة

إن المراد من صياغة هذا الحديث الذى أخرجه البخارى — بعد تعارضه مع القرآن والسنة والتاريخ والعقل — هو الترويج لأصحاب الرئاسة وشرعنة جلوسها فى الحكم سواء كانت هذه الرئاسة منتخبة من مجموعة من الناس كما حدث فى سقيفة بنى ساعدة، أو من خلال التعيين بالنص كما حدث لعمر بن الخطاب، أو سواء بالشورى كما حدث لعثمان، أو سواء بالمال

-
- 1- مستدرک الحاكم للنيسابورى: ج3، ص370؛ المعجم الكبير للطبرانى: ج1، ص113؛ تاريخ مدينة دمشق: ج25، ص113.
 - 2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج12، ص236؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج6، ص365؛ فتح البارى لابن حجر: ج5، ص187

والسيف كما حدث لمعاوية وبنى أمية الذين حولوا الأمر ملكاً عضوضاً يتلاقفونه فيما بينهم امتثالاً لوصية جدهم سيد الأحزاب أبى سفيان بن حرب وقد قال لهم فى خلافة عثمان بن عفان الأموى: تلقفوها يا بنى أمية، تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار) (1).

فى حين لم يشهد الإسلام بيعة حقيقية لم يسجل التاريخ فيها اعتراضاً لأحد من المسلمين سوى بيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام فقد هبوا جميعاً لبيعته والأمر لا حاجة إلى تدليل لمن كان له أدنى اطلاع على التاريخ الإسلامى.

ومن هنا:

فإن الخيرية التى نص عليها الحديث الذى اعتمده السلفيون فى كونه أحد مراجع الخطاب الدينى وأوسع مناهله هو فى الحقيقة لا يصمد أمام القرآن والسنة والتاريخ والعقل ومن ثم فقد اعترض عليه بعض علماء أهل السنة والجماعة، فكانت اعتراضاتهم كالتى:

1 _ قال ابن حجر العسقلانى

(وهذا محمول على الغالب والأكثرية، فقد وجد فيمن بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة لكن بقلة بخلاف من

1- الفايق فى غريب الحديث للزمخشري: ج2، ص88؛ السقيفة وفدك للجوهري: ص87؛ تاريخ الطبرى: ج8، ص185؛ مروج الذهب للمسعودى: ج2، ص343؛ المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء: ج2، ص57.

بعد القرون الثلاثة فإن ذلك كثر فيهم واشتهر وفيه بيان من ترد شهادتهم وهم من اتصف بالصفات المذكورة وإلى ذلك الإشارة بقوله ثم يفسو الكذب(1).

2 _ قال ابن عبد البر

(والذى يصح عندى _ والله أعلم _ فى قوله «خير الناس قرنى» أنه خرج على العموم، ومعناه الخصوص بالدلائل الواضحة فى أن قرنه _ والله أعلم _ فى الكفار والفجار كما كان فى الأخيار والأشرار، وكان فى المنافقون والفساق والزناة والسراق، كما كان فى الصديقون والشهداء والفضلاء والعلماء.

فالمعنى على هذا كله عندنا أن قوله _ صلى الله عليه وآله وسلم _ «خير الناس قرنى» أى خير الناس فى قرنى كما قال تعالى:

{ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ } (2).

أى فى أشهر معلومات، فىكون خير الناس فى قرنه أهل بدر والحديبية، ومن شهد لهم بالجنة خير الناس إن شاء الله، ويعضد هذا التأويل قوله _ صلى الله عليه وآله وسلم _ «خير الناس من طال عمره وحسن عمله» عد من سبق له من الله الحسنى وأصحابه وبالله التوفيق(3).

1- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى: ج 7، ص 6؛ فىض القدير للمناوى: ج 3، ص 639.

2- سورة البقرة، الآية: 197.

3- الاستذكار لابن عبد البر: ج 1، ص 190؛ التمهيد لابن عبد البر: ج 2، ص 250.

3 _ قال المناوى والكلاباذى وغيرهما

(وأما خبر «خير الناس قرني» فخاص بقوم منهم والمراد في قرني كالعشرة وأضاربهم وأما سواهم فيجوز أن يساويهم أفاضل أو أواخر هذه الأمة كالذين ينصرون المسيح، ويقاثلون الدجال فهم أنصار النبي صلى الله عليه __ وآله __ وسلم وإخوانه)(1).

4 _ قال السرخسى

(ففى هذا بيان أن أهل كل عصر يقومون مقامهم فى صفة الخيرية إذا كانوا على مثل اعتقادهم والمعانى التى بينها لإثبات هذا الحكم بها من صفة الوساطة والشهادة والأمر بالمعروف لا يختص بزمان ولا بقوم)(2).

5 _ قال ابن تيمية

(ومما ينبغى أن يعلم أنه وإن كان المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة والاستغفار للطائفتين جميعاً وموالاتهم فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من المعسكر إلا مجتهداً متأولاً كالعلماء، بل فيهم المذنب، والمسيء، وفيهم المقصر فى الاجتهاد لنوع من الهوى، لكن إذا كانت السيئة فى حسنات كثيرة كانت مرجوحة مغفورة)(3).

1- فيض القدير للمناوى: ج2، ص233.

2- أصول السرخسى: ج1، ص313.

3- مجموعة الفتاوى لابن تيمية: ج4، ص434.

وأقول: ليس كل سيئة تغفرها الحسنات كإدخال الأذى على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال الله تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا} (1).

أو قتل النفس المحترمة كعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

وعليه:

فهذه الأقوال انطلقت في رؤيتها للحديث من القرآن والسنة وواقع الحال الذي كان عليه أهل هذه القرون الثلاثة، ومن ثم فإن مرتكزات الخطاب الديني منذ ظهوره في المجتمع الإسلامي وإلى يومنا هذا إنما يتجدد هدفه وغايته ونتائجه في الإصلاح والإفساد من خلال هذه المرجعيات والمناهل لاسيما المرجع الأخير، أى السلف إذ عدم وجود آليات محددة لبناء هذا الخطاب وفهم مفرداته المستمدة من مرجعياته ومناهله والتساوى في التقييم لشخصيات القرون الثلاثة صاحب الخطاب الديني من البدرين كما يأخذ عن سيد الأحزاب وأشياعه إن ذلك لكفيل بتردى هذا الخطاب وتردى نتائجه في المجتمع.

ولو أردنا أن نتبع هذه النتائج والفتاوى التي صدرت عن أهل الخطاب الديني لخرج البحث عن عنوانه ومنهجه ولكن يكفي أن نورد ما بينه
نبي الأمة

وسيدها رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيما تؤول إليه الأمة الإسلامية بفعل هذا الخطاب الديني؛ فمنها:

1 __ روى أحمد في المسند، (عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه __ وآله __ وسلم قال:

«إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة».

قالوا: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال:

«الجماعة الجماعة»(1).

وتقول:

وإن كان الحديث الشريف يكشف عن حقيقة ما تؤول إليه أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من التفرق والهلاك بفعل الخطاب الديني لهذه الفرق إلا أن الحديث لم يسلم من أدوات الخطاب (الديني) كما هو واضح في ذيل الحديث الذي يصرح بالوضع والتلفيق، وذلك:

ألف: إن مصطلح الجماعة مصطلح غريب على عصر النبوة بعكس مصطلح (الأمة) أو (الفرقة) ولذا لم يرد في أدبيات الحديث النبوي هذا اللفظ مما يكشف عن أنه دخيل على الحديث.

باء: إن مصطلح الجماعة ظهر فى الوسط الإسلامى بعد استشهاد الإمام على عليه السلام حينما بايع الناس الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وبعد تلك البيعة وما شهدته الأمة من اقتتال بين شيعة على بن أبى طالب عليه السلام وشيعة معاوية، وما خلفه من تداعيات عقائدية وسياسية ونفسية أثرت بشكل أساس فى لجوء الإمام الحسن عليه السلام إلى معاهدة الهدنة مع معاوية.

فظهر مصطلح الجماعة آنذاك وسمى هذا العام عام الجماعة(1).

جيم: لو سلّمنا جدلنا أن الفرقة الناجية هى الجماعة، أى أهل السنة والجماعة، بمعنى أدق أهل القرون الثلاثة ومن تبعهم بإحسان كالمالكية والشافعية والحنابلة والحنفية، فأين أصبحت بقية هذه الفرق الإحدى والسبعون، أفهّم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أم أنهم من أهل ملة أخرى وذلك أن أهل السنة والجماعة هم السواد الأعظم من المسلمين والأمر لا يحتاج إلى دليل.

والسؤال المطروح: كيف يصبح السواد الأعظم فرقة واحدة، ومن بقى من المسلمين وهم بذاك قلة مقسمون إلى إحدى وسبعين فرقة موازية من حيث الدلالة اللفظية للحديث مع بقية الفرق من حيث العقيدة ولا أقل الإتياع!!؟

1- البحر الرائق لابن نجيم المصرى: ج6، ص460؛ عمدة القارى للعيني: ج13، ص282؛ تحفة الأحمدي للمباركفوري: ج9، ص198.

2 __ أخرج محمد بن إسماعيل البخارى فى حجة الوداع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: (كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي صلى الله عليه __ وآله __ وسلم بين أظهرنا، ولا ندرى ما حجة الوداع، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب فى ذكره، وقال:

«ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم فما خفى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس على ما يخفى عليكم ثلاثاً، إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور عين اليمين كأن عينيه عنبة طافية.

إلا أن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا؛ ألا هل بلغت؟».

قالوا: نعم، قال:

«اللهم اشهد ثلاثاً، ويلكم أو ويحكم أنظروا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض!!!» (1).

والحديث الشريف أخرجه حفاظ المسلمين فى مصادر عدة ومن طرق مختلفة لأهميته وبيانه لأمر غيبى لما تؤول إليه الأمة وما يصيبها من ابتلاءات كثيرة.

والحديث يطرح مجموعة من الأسئلة.

1- صحيح البخارى، باب حجة الوداع: ج5، ص126؛ واللفظ أخرجه أحمد بن حنبل مختصراً فى موارد عدة من مسنده.

1 __ لمن كان خطابه صلى الله عليه وآله وسلم؟ أليس إلى أصحابه وقد رجعوا من حجة الوداع أو في أثناء أداء مناسكها كما روى أنه تكلم بذلك في يوم النحر؟!

2 __ إذا كان تحذيره صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه وإنذارهم من الانقلاب على أعقابهم فيرجعون كفاراً يقتل بعضهم بعضاً __ وقد حصل ذلك، أى قتل بعضهم بعضاً __ فأى خيرية كانت لأهل هذا القرن وأى صلاح استحقوا فكانوا كما يسميهم اليوم كثير من المسلمين بـ(السلف الصالح)؟

3 __ كيف سيكون مضمون الخطاب الدينى ومحتواه فيما لو اتبع الخطيب أو المتكلم هذا القاتل دون المقتول كما لو اختار عقيدة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبى غادية الجهنى(1).

وأوردها خطابه الدينى دون عقيدة عمار بن ياسر وهو أشهر من أن يعرف لجلالة قدره وعظيم منزلته فى الإسلام، بل كيف سيكون أثر هذا الخطاب فى الإصلاح والإفساد، وهل للإصلاح موضع فى هذا الخطاب الذى يستمد مضمونه ومفاهيمه من أبى غادية الجهنى وهو قاتل عمار بن ياسر؟

4 __ لا شك أن عقيدة أبى غادية الجهنى كانت تركز على حب عثمان ابن عفان، وتتمذهب بمذهب أهل الشام كما نص على ذلك أبو داود

1- نص على صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحمد فى المسند: ج4، ص76؛ البخارى فى تاريخه الكبير: ج8، ص420؛ ابن حجر العسقلانى فى الإصابة: ج7، ص258، برقم (10371).

السجستاني صاحب السنن (1).

وأن عقيدة عمار بن ياسر كانت تركز على حب على بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، ومن ثم فمرجعيات كلا الخطابين منذ القرن الأول للهجرة وإلى يومنا هذا متضادة ومتباعدة وكيف لا وقد وقع السيف بين العقيدتين فكان الحال الذي أصبحت الأمة عليه مصداقاً لما أخبر به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

فأى من السلف يتبع المسلم؛ ولأى الخطابين يعقل ويؤمن؟!

إنها أسئلة كثيرة يفرضها البحث لاسيما ونحن اليوم نشهد نسخاً لما مرّ من هذه العقائد، بل قد اشترط السلفيون على من أراد أن يتصف بهم أن يكون على تلك العقيدة ولأنهم لم يفرقوا بين القاتل والمقتول وبين المؤمن والمنافق فقد ظل القارئ لا يهتدى الوجهة التي تأخذ بيده إلى الأمان والخلاص من العذاب في الآخرة وذلك أن القاتل والمقتول كليهما (رضى الله عنه)!! فأين الثواب وأين العقاب، بل على أى شيء، ولأى حكمة وعلة بعث الله الأنبياء والمرسلين والقاتل والمقتول كلاهما رضى الله عنهما، وهو ما ملئت به كتب الحديث والرجال؟!

وعليه: نحتاج إلى معرفة الآليات التي اتخذها المتكلمون في فهم النص وبناء الخطاب الديني، وهو ما نتناوله في المبحث القادم.

1- سؤالات الأجرى لأبي داود السجستاني: ج1، ص151؛ تهذيب الكمال للمزى: ج33، ص145.

المبحث الثالث: آليات فهم النص وبناء الخطاب الديني

إشارة

حينما ينظر الباحث والقارئ إلى تعدد العلوم الإسلامية أو العلوم الشرعية ويرى خوض العلماء فيها وتصنيفهم كتباً عنها، فإنه لا شك سينهر بهذا النتاج الفكرى لاسيما تلك المصنفات التى اهتمت باللغة العربية والقرآن والحديث والرجال والسيرة؛ فضلاً عن خوض غمار الفلسفة والكلام والعقائد؛ وأما الفقه والأصول فلهما الحظ الأوفر من تلك العلوم الإسلامية والشرعية.

والمهم فى هذا التنوع العلمى والمعرفى: وضع قواعد وآليات مختصة بهذا العلم أو ذاك، ومن ثم تجد العالم الفقيه له أدواته الخاصة التى يستند إليها فى فهم النص الدينى وكذا المفسر أو الرجالى حتى تكاد تجزم بأن هذه العلوم منعت على العامة لصعوبة غوص بحورها واستخراج مكنوناتها.

ولكن:

حينما تأتى إلى فهم كثير منهم لهذه النصوص التى كانت المادة الأساس فى بناء الخطاب الدينى منذ القرن الأول للهجرة وإلى يومنا هذا وتقابلها بما قدمه هؤلاء المصنفون الذين حازوا الفضل والشرف لحملها نجدهم ينسلخون

عن جلدتهم وفكرهم ومعرفتهم فيأخذون ما يناسب عقيدتهم أولاً ومصالحهم ثانياً، وكأنك أمام شخصية جديدة لا علاقة لها بما صنفت وكتبت في العلوم الإسلامية.

فتبقى حائراً أمام بعض التساؤلات، والفرضيات، وهي:

أولاً: كتمان الحقائق

أتراهم يكتمون ما أنزل الله وذلك أن الله عز وجل لا يريد ظلماً للعباد، وأنه عادل لا يعذب بريئاً بذنب غيره ولا يأخذه بجريرة كافر أو ظالم، وقد قال سبحانه:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (1).

ثانياً: العلم الغائب ونقصان المعرفة

أم إنهم علموا شيئاً وغابت عنهم أشياء كما هو حال (الصحابي) أبي غادية الجهني حينما تنازع مع رجل من أهل الشام كان يقاتل مع معاوية في صفين على حمل رأس الصحابي الجليل عمار بن ياسر إلى الصحابي معاوية بن أبي سفيان لغرض الحصول على الجائزة النقدية، كما يروي لنا كلثوم بن جبر قال:

(سمعت أبا غادية الجهني يقول: حملت على عمار بن ياسر يوم صفين فدفعته __ فطعنته __ فألقيته عن فرسه وسبقني إليه رجل من أهل الشام فاحتر رأسه فاخترصمنا إلى معاوية في الرأس ووضعناه بين يديه كلالنا يدعى قتله وكلالنا يطلب الجائزة على رأسه، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص.

فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله __ صلى الله عليه وآله وسلم __ يقول لعمار:

«تقتلك الفئة الباغية(1)»، بشر قاتل عمار بالنار».

فتركته من يدي، فقلت: لم أقتله، وتركه صاحبي من يده وقال: لم أقتله؛ فلما رأى ذلك معاوية أقبل على عبد الله بن عمرو، فقال: ما يدعوك إلى هذا؟

قال: إني سمعت رسول الله __ صلى الله عليه وآله وسلم __ قال قولاً فأحببت أن أقوله(2).

والحادثة تكشف عن جملة من الأمور:

1 __ إما أن (الصحابي) أبي غادية الجهني لم يكن قد سمع حديث رسول

1- صحيح مسلم، باب لا تقوم الساعة: ج8، ص186؛ سنن الترمذي: ج5، ص333؛ فضائل الصحابة للنسائي: ص51.

2- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج43، ص474؛ بغية الطالب في تاريخ حلب لابن العديم: ج10، ص4497؛ الجوهرة للبري: ص101؛ كنز العمال للهندي: ص537.

الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عمار وإن قاتله فى النار فعلم شيئاً وغابت عنه أشياء.

2 __ وإما أنه علم بذلك ولكنه أراد أن يبرئ نفسه من الجريمة التى ارتكبها.

3 __ إن كثيراً من الصحابة ك معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص قد كتموا ما أنزل الله سبحانه وظلموا المسلمين فى قتالهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يقاتلون مع على بن أبى طالب عليه السلام.

4 __ أو أن المال والجوائز التى كان يبذلها معاوية قد غيرت عقائد الناس.

وعليه:

يبقى التضليل و كتمان ما أنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسعى وراء السلطة وبذل الأموال هى العوامل الأساسية فى فهم النص وبناء الخطاب الدينى.

وإن كثيراً من الخلف هم أبناء أولئك السلف وأنهم ورثوا ما عليه معاوية ابن أبى سفيان وعمرو بن العاص وأبو غادية الجهنى ليقابلوا بهذا الإرث الذين ورثوا عقيدة عمار بن ياسر وأبى ذر الغفارى وعلى بن أبى طالب عليه السلام.

ومن ثم فإن آليات فهم النص وبناء الخطاب الدينى لن تخرج عن تلك الثوابت العقدية والنشئية التى تغلغت فى قلوب السلف ونشأ عليها الخلف.

ثالثاً: ذريعة الاجتهاد الخاطئ وصريح مخالفته للقرآن والسنة

يكاد يجزم الباحث أو القارئ للمصنفات الإسلامية التي أخذت على عاتقها سيرة السلف وما وقع بين الصحابة خلال القرن الأول وما تبعهم عليه التابعيون في القرن الثاني والتزم به السائرون لأولئك في القرن الثالث إلا ووجد قاعدة ثابتة في رسم العقيدة وأداة فاعلة في فهم النص وبناء الخطاب الديني ألا وهي: أنهم اجتهدوا فإن أصابوا فللمصيب أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد(1).

وقد حرص السلفيون على ترسيخ ذلك في أذهان الناس لما له من تأثير كبير في حجية المعرفة وتسييس الناس لعقيدتهم فانبرى لها متكلموهم، وفي ذلك تقول اللجنة الدائمة للإفتاء: (مذهب أهل السنة والجماعة الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والترضى عنهم جميعاً، واعتقاد أنهم كانوا مجتهدين فيما عملوا فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر وخطوة مغفور)(2).

في حين أن هذه القاعدة خاصة بمن بلغ درجة الاجتهاد في القضاء والفقهاء وليس لعامة الناس سواء كانوا من أهل القرون الثلاثة أو ممن تلاهم وإلا لأصبح جميع المسلمين قضاة وفقهاء بحيث يعمل كلٌ منهم برأيه ويشرع

1- أنظر في هذه القاعدة على سبيل الاستشهاد وليس الحصر: المحصول لفخر الدين الرازي: ج4، ص343.

2- اللجنة الدائمة للإفتاء لأحمد بن عبد الرزاق الدويش: ج3، ص287.

فى دىن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما يشاء بناءً على قاعدة حصول الأجر فى كلتا الحالتين فى الصواب والخطأ.

فضلاً عن أن حمل ما شجر بين الصحابة على الاعتقاد بأنهم كانوا مجتهدين يثير مجموعة من الأسئلة:

1 _ كيف يمكن الاعتقاد بأمر فيه مخالفة صريحة للقرآن والسنة المحمدية فمنهم من كان منافقاً وقد تبرأ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم منهم.

وعليه: كيف يصبح عمل المنافق فى حربه لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم اجتهاداً والله يأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بجهادهم فيقول:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (1).

2 _ إن الله تعالى يقول فى محكم التنزيل:

{ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا } (2).

فكيف يكون من قتل على بن أبى طالب عليه السلام أو من قتل ريحانة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقتل بضعتة فاطمة صلوات الله عليها وقتل أصحابه كعمار بن ياسر وأبى ذر الغفارى عليهم الرحمة والرضوان وإن القاتل

1- سورة التوبة، الآية: 73.

2- سورة الأحزاب، الآية: 57.

3 __ أكون قاتل عمر بن الخطاب وقاتل عثمان بن عفان مأجوراً ومغفوراً له لأنه اجتهد في القتل.

أم أن الأمر خاص بقتلة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحزبهم؟!

4 __ كيف بالمسلم أن يأخذ دينه في الفروع وعقيدته في الأصول من الصحابة وقد كفر بعضهم بعضاً فقتلوا بالكفر، بمعنى أدق ممن يأخذ المسلم دينه وقد أمر بالرجوع إلى الصحابة وقد كفر بعضهم بعضاً كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري؟

5 __ ثم إن السؤال المهم الذي ينبغي الوقوف عنده طويلاً.

على ماذا اختلف الصحابة وتشاجروا وتقاتلوا؟ أعلى الدنيا أم على الدين؟

فإن كان تشاجرهم على الدنيا فهذا أولى بالإعراض عنهم وإن اختلفوا وتقاتلوا على الدين فمعنى ذلك أن منهم من كان على الحق ومنهم من كان على الباطل وهو ما دل عليه الحديث النبوي الصحيح الذي أخرجه غير واحدٍ من أئمة الحديث، عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري»(1).

وفى لفظ آخر رواه أبو هريرة عنه __ صلى الله عليه وآله وسلم __ أنه قال:

«بيننا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين قال: إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري.

ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا يخلص منهم مثل همل النعم»⁽¹⁾.

وهو مثال يضرب القلة، فأى اجتهاد هذا وأى أجر، وأى ذنب مغفور للمذنب منهم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبر بأن كثيراً منهم إلى النار؟!!

فضلاً عن ذلك:

فإن أئمة المذاهب الإسلامية قد أسسوا لمقتضى الاجتهاد ودوافعه وشروطه وإن الصحابة أو غيرهم من المسلمين لا يحق لهم الاجتهاد فيما يقابل النص ومن ثم فإن الاعتقاد بأنهم اجتهدوا فهو بدعة ومحدثة أريد منها إضلال المسلمين وبقاء نفوذ أصحابها والقائلين بها واستغلال عفوية الناس وقلة اطلاعهم، وإلا فإن أصل الحديث مقيد بالحاكم الذى أوكل إليه القضاء وليس عامة الصحابة أو التابعين.

ومما يدل عليه:

1- المصدر نفسه.

مجموعة من أقوال أئمة المذاهب الإسلامية من أهل السنة والجماعة وهي كالآتي:

1 __ قال إمام المذهب الشافعي، بعد أن أورد الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه أئمة الحديث عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»⁽¹⁾.

قال الشافعي: (ومعنى الاجتهاد من الحاكم إنما يكون بعد أن لا يكون فيما يريد من القضاء فيه كتاب ولا سنة ولا أمر مجتمع عليه؛ فأما وشيء من ذلك موجود فلا).

فإن قيل: فمن أين قلت هذا وحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظاهره الاجتهاد؟ قيل له: أقرب ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل: (كيف تقضى؟)، قال: بكتاب الله عز وجل، قال: (فإن لم يكن؟)، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (فإن لم يكن؟)، قال: أجتهد رأيي؛ قال: (الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الاجتهاد بعد أن لا يكون

1- صحيح البخاري، كتاب الاعتصام: ج8، ص157؛ مسند أحمد: ج4، ص198، من حديث عبد الرحمن بن حسنة.

كتاب الله ولا سنة رسوله؛ ولقول الله عز وجل:

((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ))، وما لم أعلم فيه مخالفاً من أهل العلم.

ثم ذلك موجود في قوله: (إذا اجتهد) لأن الاجتهاد ليس بعين قائمة وإنما هو شيء يحدثه من قبل نفسه، فإذا كان هذا، فكتاب الله والسنة والإجماع أولى من رأى نفسه، ومن قال الاجتهاد أولى خالف الكتاب والسنة برأيه(1).

2 __ وقد أفرد له ابن حجر العسقلاني باباً في فتح الباري، فقال تعقيباً ومبيناً للحديث:

(يشير إلى أنه لا يلزم في رد حكمه أو فتواه إذا اجتهد فأخطأ أن يَأْتَمَ بذلك، بل إذا بذل وسعه أجر فإن أصاب ضوعف أجره لكن لو أقدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثم(2)).

3 __ جمع ابن عبد البر أقوال أئمة المذاهب في كتابه جامع بيان العلم فكان مما أورده بعد أن ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قال الشافعي ومن قال بقوله: يؤجر ولكنه لا يؤجر على الخطأ، لأن الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد، وإنما يؤجر لإرادته الحق الذي أخطأه.

قال المزني: فقد أثبت الشافعي في قوله هذا أن المجتهد المخطئ أحدث في

1- كتاب الأم للشافعي: ج6، ص216.

2- فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ج13، ص267.

الدين! ما لم يؤمر به ولم يكلفه وإنما أجر في نيته لا في خطئه.

ثم ينتقل ابن عبد البر إلى المذهب المالكي فيروي عن ابن وهب، قال: سمعت مالكا يقول: من سعادة المرء أن يوفق للصواب والخير، ومن شقوة المرء أن لا يزال يخطئ وفي هذا دليل المخطئ عنده وإن اجتهد فليس بمرضى الحال.

وذكر ابن عبد البر قول إسماعيل القاضي في المبسوط، فقال: وليس يجوز لمن لا يعلم الكتاب والسنة، ولا ماضى عليه أولو الأمر أن يجتهد رأيه فيكون اجتهاده مخالفاً للقرآن والسنة⁽¹⁾.

وعلى هذا يكون سنام الاجتهاد وقوامه معرفة القرآن والسنة وعدم مخالفتها، أما إذا كانت هناك مخالفات صريحة وعلنية للقرآن الكريم والسنة فلتصق هذه الانتهاكات للحرمان بالاجتهاد فهذا بدعة وكل بدعة ضلال وصاحبها في النار.

وعليه:

فإن هذه الآليات في فهم النص القرآني والنبوي تحت ذريعة الاجتهاد فإن أخطأ الصحابي فله أجر وإن أصاب فله أجران أثرت بشكل كبير في عقيدة المسلم ورسمت صورة سيئة عن كثير من الشخصيات الصالحة التي أفنت سنين عمرها في نصرة القرآن والسنة المحمدية فأبعد الصحابة النجباء المخلصون وقرب أولئك المعادون لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والذين كان النفاق سمتهم وتحقيق المصالح والمغانم هدفهم مما غير أبنية الخطاب

1- جامع البيان وفضله لابن عبد البر: ج2، ص72 __ 73.

الدينى منذ القرن الأول وإلى يومنا هذا، فقدس من أراد له أصحاب المنابر والفتاوى أن يتقدس وكفّر من أراد أن يكفّر، وغض الطرف عن كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم ينادون على المنابر سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته!!

وقد قتلوا السنة كما قتلها أسلافهم؛ حينما قتلوا الصحابة النجباء كعمار ابن ياسر وحجر بن عدى، ومحمد بن أبى بكر؛ وأبى ذر الغفارى؛ وغيرهم وقتلوا السنة حينما أعلنوها حرباً ضروساً على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبين أضلاع مهشمة وجنين مخضبٍ بدمائه، ومحراب غسل بدماء صاحبه، ورأس على الرمح يدار به فى بلاد المسلمين وفيهم الصحابة والتابعون والرأس يتلو القرآن؛ فهذا كله خطأ مغفور؛ بل مأجور صاحبه!!

{... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (1).

{... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (2).

{... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (3).

أفى حكم الله تعالى أن يقتل هؤلاء الطاهرون وتسفك دماء أولئك النجباء الصالحين، مالكم كيف تحكمون؟! وأى خطاب (دينى) هذا الذى تزعمون!؟

1- سورة المائدة، الآية: 44.

2- سورة المائدة، الآية: 45.

3- سورة المائدة، الآية: 47.

المبحث الرابع: تقديس النص أم نص القداسة ودوران الخطاب الديني بينهما

إشارة

إن النتائج التي خلص إليها البحث من خلال العرض السابق تقودنا إلى المواضيع التي سنتناولها خلال هذا المبحث، وذلك أن العنصر الأساس في بناء الخطاب الديني هو النص القرآني والنبوي مما أكسبه - أي الخطاب الديني - صفة القداسة، فيلزم بالمسلم الانقياد إليه والتسليم له.

المسألة الأولى: القداسة الذاتية والإلتصاقية

إلا أن المشكلة الحقيقية هي حينما ينتقل التقديس إلى القائل بالنص دون أن يكون له قدسية فيكون النص الذي ينطق به من لا أصل قرآنيًا أو نبويًا لتقدسه مقدسًا.

بمعنى:

يكون الخطاب مكتسباً لصفة القداسة من موردين:

1 __ أن يكون الخطاب محتويًا على نصوص مقدسة، وهذا يلزم أن يكون هذا النص صادراً من القرآن أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو ممن

أكسبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن قدسية فيكون كلامه ملازماً للقرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا المعنى محصور في العترة النبوية لتضافر النصوص القرآنية والنبوية فيهم فكانوا عدل القرآن وثقله في الأمة.

2 __ أن يكون الخطاب صادراً عن أشخاص كانت قد استهم التصاقية وليست ذاتية؛ وذلك لأنهم غير منصوص عليهم بالتقديس بل لاصقوا الدين فأصبح خطابهم دينياً ومن ثم مقدساً ويلزم الأخذ به كالمجتهد الذي قد يصيب أو يخطئ، وكالصحابي الذي يكون مخلصاً ومتقياً أو منافقاً؛ وذلك أن الملاك والضابطة التي أسسها السلف في اكتساب الصحابي أو التابعي أو المجتهد أو القاضى ليس التقوى وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما لأنه ملتصق بالمقدس، وهو ما دأب عليه السلف في إطلاق صفة الصحبة على كل من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سمع منه؛ واكتساب الصحبة رتبة من القداسة لا يعلوها شيء، وإن كان هذا الصحابي قاتلاً كأبي غادية الجهني، أو زانياً كالمغيرة بن شعبه(1) أو مستمعاً للغناء(2)؛ وفي ذلك يقول القرطبي وغيره:

(ذهب معظم العلماء وإن من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورآه ولو مرة في عمره أفضل ممن يأتي بعده، وإن فضيلة الصحبة لا يعدلها

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج12، ص236؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج6، ص365؛ فتح الباري لابن حجر، باب: شهادة القاذف والسارق: ج5، ص187.

2- صحيح البخارى، كتاب المناقب، باب: قصة الحبش: ج2، ص29، وكتاب العيدين، باب: سنة العيدين لأهل الإسلام: ج2، ص607.

عمل(1).

إنّ هذا التقديس الالتصاقى برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي رَوَّج له أصحاب الخطاب الدينى لو بحثنا عنه فى القرآن والسنة لم نجد له أثراً؛ وذلك أن الأساس الذى يلزم المسلم بتقديس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإجلاله وإكرامه جاء فى القرآن من خلال تقديس النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للحكم الإلهى فأمر الله ونهيه هما أقدس من الرسل والأنبياء عليهم السلام عند الله تعالى وما تقديسهم إلا لأنهم المأمون على وحى الله وشرائعه ودينه؛ ولقد بيّن القرآن الكريم فى جملة من الآيات المباركة منزلة الحكم الشرعى عند الله تعالى، فقال سبحانه:

1 __ {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} (2).

2 __ {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (3).

وهذا التشديد الإلهى الذى أظهره القرآن إنما لبيان منزلة الحكم الشرعى عند الله تعالى وتقديسه وإن ارتقاع الإنسان يكون بذلك الالتزام والتسليم لدين الله تعالى ومنه اكتسبت الأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون منازلهم وفى ذلك قال سبحانه وتعالى:

1- تفسير القرطبى: ج4، ص171؛ فيض القدير للمناوى: ج1، ص271.

2- سورة الحاقة، الآيات: 44 __ 47.

3- سورة ق، الآية: 18.

{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} (1).

ولأنه قول رسول كريم، فقد جعل الله تعالى طاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم طاعته ومعصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصيته فقال عز وجل:

1 _ {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} (2).

2 _ {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (3).

3 _ {... وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} (4).

ولذلك:

إن مجرد النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكسب الناظر صفة الصحبة، وإن هذه الصفة (لا يعدلها عمل)! وإن الصحابي (مغفور خطؤه)، بل وله أجر على هذا الخطأ لأنه اجتهد وإن كان هذا الاجتهاد نتيجة التعدي لحدود الله تعالى كالقتل العمدى، لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته؛ أو لممارسة الزنى وشرب المسكر وغيرها من الكبائر التي

1- سورة الحاقة، الآية: 42.

2- سورة المائدة، الآية: 92.

3- سورة النور، الآية: 56.

4- سورة الأحزاب، الآية: 36.

تمارس على مرأى ومسمع بين أهل زمانه صلى الله عليه وآله وسلم؛ إن كل ذلك الذى انطوى تحت صفة الصحبة يعدّ تعدياً وانتهاكاً لحدود الله تعالى.

وقد قال سبحانه فى محكم التنزيل:

{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} (1).

وعليه:

فهذه المقولة فى اجتهاد الصحابة وإن أخطأ أحدهم مغفور، بل ومأجور عليه وإن كان هذا الخطأ فيما شجر بينهم فى القتل وغيره فهو مخالف لصريح القرآن بل إن التعدى للحدود الإلهية مأواه جهنم خالدًا فيها وله عذاب مهين.

{قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا} (2).

وعليه:

تلك الهالة من القداسة التى خلقها الذين أسسوا الظلم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعترته وأصحابه هم أصحاب الكراسى والرئاسة، سواء كانت فى الخلافة أو فى إمامة المسجد أو فى دار الفتوى وقد كرس لها أصحاب

1- سورة النساء، الآية: 14.

2- سورة الجن، الآيتان: 22 _ 23.

هذه الرئاسة كل ما تحتاج إليه هذا الهالة من القداسة، وذلك لإيمانهم أنهم أحد أفرادها ومن ثم فالمساس بها هو مساس بهم وإن تعظيمها هو تعظيم لهم.

مما انعكس سلباً على تفكير المسلم ومستواه المعرفي فبات وكأنه إنسان قد قدم من كوكب آخر أو أنه يعيش في عالمه الخاص الذى يكافح فيه بين مقتضيات الفطرة والعقل وبين هذا الموروث الذى كبله فلم يعد يعرف من الإسلام سوى تلك الخطابات التى إن تجددت فهى تدور بين تكفير المسلمين أو تقصير الثياب أو إطلاق اللحنى أو اجتناب كل ما فيه تاء التأنيث.

أما كيف عاش البديرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكيف لموا سنته صلى الله عليه وآله وسلم أو كيف دافعوا عن الإسلام تحت رايته فعرفوا القرآن وعتره نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وساروا بهديهم وميزوا بين الحق والباطل، فأولئك مبعدون ولا نصيب لهم فى بيان عقائدهم التى كانوا يقاتلون بها تحت راية على بن أبى طالب عليه السلام ويستشهدون فى ساحات الوغى وهم يذبون عن الإسلام أهل الفئة الباغية، فهذا وغيره لا تجد له فى الخطاب (الدينى) نصيباً؛ لأنه ليس من دينهم فى شىء.

من هنا:

إن الخطاب الدينى حينما يركز على تلك المبتنيات والآليات فهو لا- يقدم سوى مزيدٍ من التردى والإفساد وأقله التردد والحيرة فى التشخيص بين الحق والباطل، ولعل خير شاهدٍ على هذا التردى ما قام به الشوكانى فى تأويله

للحديث المنسوب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أجر المجتهد في الصواب والخطأ، فيقول:

(ليس لأحد من العلماء المختلفين، أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول: الحق ما قاله فلان دون فلان، أو فلان أولى بالحق من فلان؛ بل الواجب عليه — إن كان ممن له فهم وعلم وتمييز — أن يرد ما اختلفوا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كان دليل الكتاب والسنة معه فهو على الحق وهو الأولى بالحق.

ومن كان دليل الكتاب والسنة عليه لا له كان هو المخطئ، بل هو معذور!!!، بل مأجور!! كما ثبت في الحديث الصحيح:

(إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر) فناهيك بخطأ يؤجر عليه فاعله.

ولكن:

لا- يجوز لغيره أن يتبعه في خطأه، ولا يعذر كعذره ولا يؤجر كأجره، بل واجب على من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداء به في الخطأ ويرجع إلى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة.

وإذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم إلى الكتاب والسنة كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذى أصاب الحق وواقفه، وإن كان واحداً، والذى لم يكن معه دليل الكتاب والسنة هو الذى لم يصب الحق، بل أخطأه، وإن كان عدداً كثيراً، فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم — وإن كان مقصراً — أن

يقول: إن الحق بيد من يقتدى به من العلماء، إن كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره.

فإن ذلك جهل عظيم، وتعصب ذميم، وخروج من دائرة الإنصاف بالمرة، لأن الحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون بالحق(1).

ويدل قول الشوكاني على حجم التردد والحيرة في قول الحق وإنصاف القارئ وذلك لالتصاق صفة القداسة بالصحابة التي منعت من البيان الصريح فأوكل الأمر بعنق المسلم، وكيف يستطيع المسلم أن يستخرج الحق من الكتاب والسنة وكيف سيأخذ دينه والصلاة والصوم وغيرها من الفروع والعقائد وقد اختلف فيها الصحابة والمجتهدون، أي ضياع للمسلم أعظم من هذا الضياع!؟

المسألة الثانية: القداسة بين مقتضيات الملك ومقتضيات الدين

لما رأى الحكام الذين جلسوا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن بقاءهم في السلطة مرتكز على تقديس الناس لدينهم فقد جهدوا في إصاق صفة القداسة بهم فاتخذت مسميات وصفات تعزز في أذهان الناس هذه القداسة، فهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذاك خليفة المسلمين، وهذا والى الخليفة، وهذا قاضى الخليفة، وهذا إمام المسلمين، وغيرها من الصفات التي مفهومها ودلالاتها ترتكز على القداسة الملتصقة

1- شرح الصدور للشوكاني: ص3.

بالدين؛ والعلّة في ذلك أن بعض الصحابة جلسوا على كرسى الحكم ويدهم كانت السلطة التشريعية والسياسية ومن بعدهم جلس التابعيون؛ ومن ثم فهم بين مقتضيات الملك ومقتضيات الدين، ولأن الدنيا والآخرة لا يجتمعان فقد لزم الأمر تصنيع القداسة بهذه الصفات، وإصباغها بهذه الصبغة، ومن ثم أكسبتهم هذه الصفات حصانات متعددة، فكانت منها:

- 1 __ إن خطأ أحدهم مغفور(1)، بل ومأجور عليه فاعله(2).
- 2 __ تحريم الدخول فيما شجر بينهم وما وقع منهم من الأخطاء والبغى والحديث عنه(3).
- 3 __ إن طاعتهم ميرثة للذمة ولذا: يجب العّض عليهم بالنواجذ(4).
- 4 __ إن الاقتداء بأى أحد منهم يجر صاحبه إلى الهداية، فهم كالنجوم، وإن كان هذا الواحد مخالفاً للإجماع(5).
- 5 __ إن الله رضى عنهم جميعاً كما رضى عن التابعين لهم(6).

-
- 1- مجموعة الفتاوى لابن تيمية: ج 3، ص 154.
 - 2- شرح الصدور للشوكانى: ص 3.
 - 3- مجموعة الفتاوى لابن تيمية: ج 4، ص 434.
 - 4- مسند أحمد: ج 4، ص 126؛ سنن الترمذى: ج 4، ص 150.
 - 5- أصول السرخسى: ج 1، ص 316.
 - 6- وهذه الحصانة استمدت من قوله تعالى ((والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصارى والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار)) سورة التوبة، الآية: 100. وتغافل المتأولون للآية المباركة عن ((من)) التبعية، أى بعض المهاجرين والأنصار مع كونهم من السابقين الأولين للإسلام إلا أن كل ذلك لم يكن دالاً على اختصاصهم بأجمعهم برضا الله تعالى ومن ثم يكون تسويقها بمفهوم رفع القلم عنهم مخالفاً للقرآن الكريم.

6 — إن سبهم كبيرة ليس لها مغفرة وأن الساب لأحدهم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(1)؛ فكيف بمن يلعنهم؟

فهذه الحصانات وغيرها لم ينتفع بها الصحابة أنفسهم، بل انتفع بها الحكام والمتزلفه لهم ووعاظهم وأصحاب الفتوى لديهم، وأصحاب الخطاب الديني في كل زمان تلوكة ألسنتهم حيث ما وجدت مصالحتهم، فكان الإصلاح للناس ينطلق من تلك المفاهيم حيثما قال صاحب القداسة فكل ما نطقت به شفتاه فهو نص مقدس؛ ولذا لزم تنفيذه سواء كان اجتهاد قداسته (الذبح) كما ذبح ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسحق بدنه بحوافر الخيل التي كانت هذه الأخرى مقدسة فقد أسماها عمر بن سعد (خيل الله).

فقال: (يا خيل الله اركبي وأبشري)(2)، أو بسلب بنات رسول الله وعلى وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين فقد كان سلباً مقدساً أيضاً فقد اجتهد التابعي عمر بن سعد بن أبي وقاص بحرق بيوتهم فكان نصه مقدساً ولذا تسارع جنده لأمر قداسته وإلى يومنا هذا، قدم الشيعة مباح بل ويتقرب به إلى الله كما فعل خليفة المسلمين وواليه في يوم عاشوراء بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

1- تفسير القرطبي: ج16، ص296.

2- تاريخ الطبري: ج4، ص315؛ الإرشاد للمفيد: ج3، ص89؛ أنساب الأشراف للبلاذري: ج3، ص184.

ولأن دوام صناعة القداسة وإنتاج المقدس يستلزم مواد أولية وسياسة تسويقية وأسواقاً يتلاقف المشترون فيها المقدس فقد احتاجت السلطات منذ القرن الأول للهجرة وإلى يومنا هذا إلى إعمال العقل في جانب وحاكمية الجهل في جانب آخر بحسب مقتضيات الملك لا مقتضيات الدين ليصبح كل ما يخدم السلطة وأدواتها مقدساً وهو ما سنعرض له في المسألة القادمة.

المسألة الثالثة: إعمال العقل أم حاكمية الجهل

إشارة

إن أخطر ما يواجهه كثير من أصحاب الخطاب الدينى — حينما يكون الهدف هو الحفاظ على نفوذهم — هو إعمال العقل، وذلك أن تفكير الإنسان بما وقع من بعض الرموز الإسلامية من مخالفات صريحة للقرآن والسنة — كما أسلفنا — يجر بالعقل إلى التحكيم والانتقاد إلى النتائج التى تلزم العاقل بالعدول عن هذه الرموز وتجريدها من قدسيته ومن ثم سلطتها عليه فى اتباعها ودوام نفوذها.

مما يعنى تهديم تلك العروش التى بنيت على أكتاف الدين، وعلى إغفال العقل، ونفوذ الجهل فىكون هو الحاكم الذى يكبل الإنسان ويسجنه فى تلك الظلمات التى أوجدها المتأسلمون.

وعليه: سعى بعض أصحاب الخطاب الدينى منذ القرن الأول وإلى يومنا هذا إلى إغفال العقل وتقييده من خلال تلك الفتاوى والآراء القائلة: (إن لا دور للعقل مقابل الوحي) والعلة فى ذلك أنهم يرون فى أنفسهم أنهم

الأمناء على الوحي أكثر من صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الشعور النابع من الأنا والجهل المركب لم تكن وليدة اليوم وإنما منذ عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد انبرى بعض الصحابة إلى الاجتهاد فيرى لنفسه رأياً فوق رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل ذهب آخر من الصحابة إلى تخوين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتقاصه والشواهد على ذلك كثيرة نورد منها شاهدين:

الشاهد الأول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينص على كفر أحد الصحابة وأبو بكر وعمر ينصان على إيمانه اجتهاداً فيخالفان أمره

قبل إيراد الشاهد نذكر القارئ الكريم بدلالة مصطلح الصحابي الذي مرّ بيانه سابقاً والذي ينحصر في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو مرة في عمره⁽¹⁾، أو سمع منه بواسطة في زمانه وإن لم يره بعينه.

وعلى هذا التعريف يكون أفراد هذه الحادثة هم من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كالاتي:

عن أنس بن مالك، قال:

(كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل يعجبنا تعبه واجتهاده، وقد ذكرناه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسمه

1- تفسير القرطبي: ج4، ص171.

فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا، فقلنا: هو ذا؛ قال:

«إنكم لتخبروني عن رجل أن في وجهه لسفعة من الشيطان».

فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم:

«أنتدك الله، هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني؟».

قال: اللهم نعم، ثم دخل يصلي ثم قال رسول الله صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم:

«من يقتل الرجل؟».

قال أبو بكر: أنا؛ فدخل عليه فوجده يصلي، فقال: سبحان الله: أقتل رجلاً يصلي؟ وقد نهى رسول الله صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم عن

قتل المصلين؟ فخرج، فقال رسول الله صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم:

«ما فعلت؟».

قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي، وقد نهيت عن قتل المصلين، قال رسول الله صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم:

«من يقتل الرجل؟».

قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعاً جبهته، قال عمر: أبو بكر أفضل

منى فخرج، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«مهيم؟».

قال: وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من يقتل الرجل؟».

فقال على:

«أنا».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنت إن أدركته».

فدخل عليه فوجده قد خرج؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو قتل ما اختلف من أمتي رجلاً»(1).

والحادثة تكشف عن جملة أمور:

1 __ إن من الصحابة من يكون سلوكه الظاهري مكرساً على العبادة كلزوم المسجد والصلاة فيه في حين أن حقيقته كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«فى وجهه سفعة من الشيطان».

ومن ثم لا يمكن المساواة فيما بين الصحابة، فمنهم من كان مؤمناً صالحاً نال الفوز والنعيم في الآخرة ومنهم من كان منافقاً قد أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه وهو يصلى فى المسجد.

2 __ إن القول بعدم الدخول فيما شجر بينهم، وإنهم عدول، وقد اجتهدوا فيما فعلوا؛ هو مخالفة للقرآن والسنة وإغفال للعقل ونفوذ حاكمية الجهل، ومن ثم فهو بدعة ومحدثه صاحبها إلى النار.

3 __ إن هذه الأنا الفوقية، والشأنية الجبروتية دفعت هذا الرجل الذى وقف أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكلم معه فأصبح بذلك (صحابياً) إلى الاعتقاد بأنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخير منه فكان مصيره إلى النار وإن هذا المصير الأسود الذى جعله أماماً يقود الناس إلى النار فكان كما قال الله تعالى:

{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ} (1).

4 __ إن مفهوم الاجتهاد لم يكن وليد القرون التى تبعت النبوة إنما هو وليد تلك الفترة فقد اجتهد أبو بكر وعمر فقال أبو بكر: (كرهت أن أقتله وقد نهيت عن قتل المصلين).

وقال عمر بن الخطاب: (وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله).

وهذا الاجتهاد لا يصح وقد أوقعهما فى معصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الرغم من أن أبا بكر استند فى اجتهاده إلى قول رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه اجتهاد فاسد وذلك أن صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم قدر أمره بقتل هذا الرجل (الصحابي) ومن ثم لا يحق للمسلم أن ينظر في الحكم وصاحب الحكم حاضر وهو أعلم بما قال، ويقول، وهو المسؤول عن حكم الله ودينه، فضلاً عن أن أمره الحاضر ينسخ أمره السابق، وأن الأمر السابق كان عاماً وأمره الحاضر كان خاصاً ومقيداً.

5 __ تكشف الحادثة عن قضية مهمة: وهي أن الصحابة بحاجة إلى شخص يمثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسلم له في كل صغيرة وكبيرة؛ لأنها تتلاعب به الآراء، فيرى لرايه حكماً في حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا لا يتحقق إلا بوجود حاكمية مطلقة للعقل عند هذا الشخص ولا وجود للجهل في قاموس حياته؛ وقد دلت النصوص الحديثية والتاريخية والعقلية على أن هذه الشخصية الإسلامية متجسدة في علي بن أبي طالب عليه السلام ومن يعاند في ذلك فعليه بقراءة مصادر المسلمين سواء في الحديث أو السيرة أو التاريخ أو ما شاء من ذلك.

الشاهد الثاني: ما رواه البخاري في اتهام الصحابي ذي الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالظلم والعياذ بالله

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقسم قسماً، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل!!! فقال __ صلى الله عليه وآله وسلم __:

«ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل».

فقال عمر يا رسول الله: أذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال:

«دعه إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر على رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قدذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت والدم.

آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: فأشهد أن على بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي نعتته (1).

والحادثة تكشف عن جملة أمور.

1 __ إن إطلاق الصلاح وتعميمه على كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو مرة واحدة مع وجود هذا التعدي لحدود الله تعالى فهو

1- صحيح البخارى، باب علامات النبوة: ج4، ص179؛ مسند أحمد، من مسند أبي سعيد الخدرى: ج3، ص56.

مشكلة فى المفهوم وإعلال للعقل توقع صاحبها فى الضلال لما للجهل من حاكمية فى الأمر كما حدث مع هذا الصحابى الذى ينتقص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيتهمه بالظلم، وذلك أن الظلم تقيض العدل وهذا من أسوأ الصفات التى تنسب إلى الإنسان فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ولذا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل».

2 __ يكشف الحديث عن حقيقة غيبية فى اختلاف الأمة من بعده وإن بعض الصحابة يمرقون من الدين وقد استطاعوا أن يبشوا الجهل فكانت له حاكمية على الأتباع فتمسكوا بصفة الصحبة وأعموا أعينهم وصموا أسماعهم عن الحق.

3 __ إن على بن أبى طالب عليه السلام هو الشخص الوحيد الذى به يعرف الصواب والحق ولذا من تبعه نجا ومن تخلف عنه هوى وهلك.

4 __ إن الوصول إلى هذا الاعتقاد يحتاج إلى إعمال العقل والتحرر من حاكمية الجهل التى حكم بها أصحاب السلطة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يستلزم العمل على بناء الخطاب الدينى وتجديده وفق حدود الثقلين كتاب الله وعتره رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهؤلاء هم أهل الدين.

المبحث الخامس: تجديد الخطاب الديني أم تجديد البنية الفكرية والمعرفية؟

أشارة

يتعذر الوصول إلى وضع تعريف جامع لبعض المصطلحات حينما تزدهم معها آليات فهم اللفظ ودلالته، وذلك أن المعرف للمصطلح ينطلق من رؤيته الخاصة المرتكزة على أنماط تفكيره ودائرة معارفه المكونة لثقافته.

ومن ثم تأخذنا الآراء في معنى التجديد وما يراد منه إلى اتجاهات مختلفة في التطبيق فضلاً عن المناهج والآليات.

فمن تعريفه بنفى البدع وإظهار السنن وتعليم الناس أحكام دينهم بوسائل مختلفة، وتوظيف النص المخبر عن بعث الله إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها⁽¹⁾.

إلى محاولة الاندماج في الحداثة والاستفادة من التطور الصناعي؛ ومن العدالة الاجتماعية وحقوق المواطنة والتعايش السلمى والأمن المجتمعى إلى التغيير فى وسائل الخطاب المنبرى كالإعلام المرئى، ومواقع التواصل الاجتماعى والهواتف الذكية، إلى التثبت بأكثر ما يمكن بما عليه السلف وبذ كل ما لم يكن حاضراً فى خير القرون... وغير ذلك من الآراء والدعوات

1- سنن أبى داود السجستانى: ج2، ص311.

والفهم لمصطلح التجديد سيقى العالم الإسلامى تحكمه تلك الأفكار العقديّة التي نشأ عليها المسلم كلا حسب بيئته، وما التجديد إلا محاولات لإرجاع هيبة الذوات التي كانت الأسوة في السير والسلوك لمن جعلوا من أنفسهم أحد لبنات الخطاب الديني.

ومن ثم انتقال تلك الهيبة إلى أصحاب الخطاب الديني أنفسهم وتحقيق القاعدة الجماهيرية لهم؛ ومن أراد الخروج عن تلك الذوات لينفرد بأرائه فمصيره (ان يتهم بالخارج عن الدين؟).

ولذا:

يبقى (الدين) هو الأساس والسنام والمنهل لهذا الخطاب، وإن هذا الخطاب هو الهادي والمضل للفرد والأسرة والجماعة والأمة، وهنا تكمن خطورة الخطاب الديني في قدرته على تغيير البنية الفكرية والمعرفة للإنسان ليخلق منه أداة لقيام السلم والحرب مع نفسه وأسرته ومجتمعه والعالم.

وعليه:

لا بد من بنية فكرية ومعرفية عن الدين، وأن هذه البنية الفكرية والمعرفية لا تتحقق إلا من خلال معرفة أهل الدين؛ إذ الانحراف وقع في مسار رقى الإنسان المسلم حينما تأسى بذوات كانت متأصلة منذ ظهور الإسلام في مكة وإلى يومنا هذا.

بل إننا لنجد أن القرآن قد أظهر خطورة الخطاب الديني لمن اتخذوا الإسلام وسيلة لضرب الإسلام والقضاء عليه بمختلف الوسائل التي كان

الخطاب الديني من أخطرها وأكثرها ضرراً بالإسلام وأهله فكان البيان القرآني لهذا الخطر ما سنعرض له في المسألة القادمة.

المسألة الأولى: اتخاذ الخطاب الديني وسيلة لبلوغ السلطة

إشارة

يقدم لنا القرآن الكريم صورة واضحة المعالم عن خطورة الخطاب الديني حينما يستخدم أداة للوصول إلى السلطة من قبل أناس عرفوا بأنهم من أهل الدين بل من خير القرون وذلك حينما خاطب الله سبحانه رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

{مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} (1).

والآية ترشد إلى ما يلي:

أولاً: يقدم القرآن الكريم أنموذجاً لبعض أصحاب الخطاب الديني الذي يمتلك الوسائل الخطابية التي تؤثر في الإنسان فيعجبه قوله ولا شك أن هذا القول الذي كان يرقى إلى إعجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بد أن يكون خطاباً دينياً لا دنيوياً؛ ولأن الدين يركز على طهارة القلب وسلامته كان له التأثير في السامع فيرقى إلى الإعجاب، إلا أن المنافع حقيقته

(ألد الخصام) والعلة في كونه (ألد الخصام) إن خطابه ديني؛ وذلك أن الخصم العلني والظاهرى يتصدى له النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا بما يتناسب مع عدائه وخصومته، أما المنافق فهو عدو داخلى يستخدم الخطاب الدينى ليفتك بالدين.

وثانياً: إن الخطورة فى الأمر تكمن فى هذا أن الفرد قد استخدم الخطاب الدينى كى يصل إلى الحكم والتسلط:

{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ...} (1).

ثالثاً: إن هذا الفرد وهذا النوع من الناس لا ينفع معهم الخطاب الدينى الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله:

{وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ...}.

مما يعطينا دليلاً آخر إلى أنه كان يعتمد الخطاب الدينى فى بادئ أمره ليصل إلى السلطة ومن ثم لا ينفع معه هذا النوع من الخطاب، وذلك أنه لا دين له من الأساس:

{...أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ} (2).

والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة وقد غزت بها حياة السلف لاسيما فى القرن الأول من الهجرة النبوية، فمنها:

1- سورة البقرة، الآية: 205.

2- سورة البقرة، الآية: 206.

الشاهد الأول: استخدام الخطاب الديني في حسم أمر البيعة في مجتمع الكوفة بين عائشة وعمار بن ياسر وتباين قوة تأثير هذه الخطابات في الناس

لعل من أهم الشواهد التاريخية والحياتية لفعالية الخطاب الديني في المجتمع المسلم هو ما شهده مجتمع الكوفة بعد قتل عثمان بن عفان ومبايعة المهاجرين والأنصار والمسلمين لعلى بن أبي طالب في المدينة وقيام طلحة والزبير بنكث البيعة والخروج على أمير المؤمنين على بن أبي طالب وانضمام عائشة زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إليهما في هذا الخروج الذي اكتسب صبغة شرعية وتحت عنوان ديني (القصاص من قتلة الخليفة عثمان بن عفان) مما دفع بأقطاب هذا الخروج إلى تبني الخطاب الديني في جمع الناس للخروج على على بن أبي طالب عليه السلام فضلاً عن المال الذي قدم به عبد الله بن عامر والى البصرة الهارب منها إلى طلحة والزبير في المدينة؛ وأما الكوفة فقد شهدت خطابات دينية مختلفة في الفكر والعقيدة والدعوة والمفاهيم ويجمعها دين واحد وهو الإسلام.

ومن ثم فقد احتاج أصحاب الخطاب الديني إلى استخدام مجموعة من الألفاظ ذات دلالات محددة ومعانٍ مؤثرة يتم بها حسم القناعات عند الناس كي ينضموا إلى هذه الفئة أو تلك وقد عزموا على الاقتتال وهم يؤمنون بأن قتالهم جهادٌ في سبيل الله.

وعليه:

فقد كان مجتمع الكوفة يشهد مرحلة مصيرية في تحديد مسيرته الدينية وما يترتب عليها من آثار في الدنيا والآخرة.

وفي بيان هذه المرحلة يروى ابن حبان قائلاً:

(بعث على - عليه السلام - الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة لاستنفارهم فلما قدموا الكوفة قام أبو موسى الأشعري في الناس وكان والياً عليها وأخبرهم بقدم الحسن واستنفاره إياهم إلى أمير المؤمنين على إصلاح البين؛ وقدم زيد بن صوحان من عند عائشة معه كتابان من عائشة إلى أبي موسى وإلى الكوفة وإذا في كل كتاب منها:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة أم المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإنه كان من قتل عثمان ما قد علمت وقد خرجت مصلحة بين الناس فمر من قبلك بالقرار في منازلهم والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين فإن قتلة عثمان فارقوا الجماعة وأحلوا بأنفسهم البوار)⁽¹⁾.

والخطاب يحتوى على مجموعة من العناصر الدينية والنفسية التي كانت عائشة تسعى من خلالها لاستحصال إعجاب الناس وتأثرهم بهذا الخطاب ومن ثم تحقيق الهدف الحقيقي الذي كان المحرك لهذا الخطاب، وهذه العناصر كالاتي:

1 __ أول ما تبتدئ به زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطابها

1- الثقات لابن حبان: ج2، ص282.

الدينى هو عنصر الشأنية الباعثة على إكسابها الحصانة وتقديس ما تنطق به لما يتضمنه هذا المنزل الذى لها من كونها زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قداسة التصاقية نابعة من المساس بشخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا عرفت نفسها بالاسم والصفة فقالت: (من عائشة أم المؤمنين).

2 __ تنتقل عائشة من تقديم صفتها (أم المؤمنين) إلى بيان توحيدها لله تعالى كى تزيل الشكوك التى قد تدور فى أذهان الناس فى الكوفة حول شرعية هذا الخروج، بمعنى أنها من أهل التوحيد ومن شأنها أن تكون مهتمّة بما يتعرض له أهل الإسلام؛ ولذا قالت: (أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو).

3 __ إن تقديم الصفة على التوحيد يكشف عن شخصيتها ومكونها العقدى بمعنى التعلق بالصفة أكثر من المنزلة الإيمانية وهو ما سجله فارقاً بين خطاب على أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل الكوفة وبين خطابها وانعكاساته على السامع فى تكوين صورة عن شخصيتها حيث كان أمير المؤمنين عليه السلام يبتدىء بالتوحيد قبل الصفة فكان يقول عليه السلام:

«من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة»⁽¹⁾.

4 __ إثارة العاطفة الجماهيرية حول قتل عثمان وبالطريقة التى حدثت ولذا لم تسهب عائشة فى إيراد بعض التفاصيل وإنما اكتفت بالإشارة إلى أنه أصبح معلوماً كيف قتل فقالت: (فإنه كان من قتل عثمان ما قد علمت).

1- نهج البلاغة ج3، ص2؛ الغارات للثقفى: ج1، ص210؛ شرح الاخبار للمغربى: ج1، ص383.

5 __ تبرير هذا الخروج وإكسابه صفة رعوية، فضلاً عن كونها دينية، ألا وهي الإصلاح، وهي طريقة ذكية في كونها حملات أوجه تستدر الإعجاب، وتبعث على الارتياح، فمن لا يؤيد الإصلاح بين المسلمين ومن ثم فمجرد الإعجاب دون إظهار التأييد العلني والفعلي يعد إنجازاً لهذه الدعوة: (وقد خرجت مصلحة بين الناس).

6 __ الأمر بالجلوس عن الخروج والرضا بما هم عليه من ترك القتال فإن ذلك من مستلزمات العافية، ولذا: قالت: (فمر من قبلك بالقرار في منازلهم والرضا بالعافية).

7 __ تقيد هذا الجلوس في المنازل حتى تتمكن من الانتهاء من أمر الإصلاح بين المسلمين الذي خرجت لأجله كما تزعم.

8 __ ترك أمر القتال مفتوحاً ولكن لفئة محددة من المسلمين وهو تمهيد للمستقبل حينما تتمكن من (الإصلاح) ولو بالسيف.

9 __ شرعنة قتال المسلمين تحت عنوان (مفارقة الجماعة) وهو عنوان أعم من عنوان القتل فالأول يحارب المسلمين والثاني يحارب أشخاصاً لو ثبت عليهم الجرم.

وهذه العناصر كلها كفيلة بحبس الناس عن الخروج لنصرة على بن أبي طالب عليه السلام في قتاله للناكثين بيعته والذين كانوا قد فارقوا جماعة المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان في بيعتهم لعلى بن أبي طالب عليه السلام.

وعليه:

يترتب على عمار بن ياسر أن يأتي بخطاب يحتوى على عناصر دينية تدحض تلك العناصر التي تضمنها كتاب عائشة كي يستطيع إقناع الناس واستمالة قلوبهم إلى الخروج لنصرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، فكيف كان خطابه الديني لما سمع خطاب عائشة إلى أهل الكوفة.

قال عليه الرحمة والرضوان:

(أمرت عائشة بأمر وأمرنا بغيره، أمرت أن تقر في بيتها، وأمرنا أن نُقاتل حتى لا تكون فتنة، فهو ذا تأمرنا بما أمرت، ورَكِبَتْ ما أمرنا به؛ ثم قال: هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخرجوا إليه، ثم انظروا في الحق ومن الحق معه)⁽¹⁾.

ويحتوى الخطاب الديني للصحابي الجليل عمار بن ياسر على جملة من العناصر المؤثرة والتي استطاعت أن تغيّر رأى الناس وقناعاتهم بما اختاروه من النصرة لعلى بن أبي طالب صلوات الله عليه وهذه العناصر الإقناعية كالآتي:

1 __ اعتمد الصحابي عمار بن ياسر (عليه الرحمة والرضوان) على مخاطبة العقل دون العاطفة التي تستلزم المداهنة وتغيير الوقائع، وهو ما يترتب عليه محاذير شرعية كالغبن والمكر والاحتيال والتغريب وغيرها، فضلاً عن أن العاطفة لا تقدم قناعات ثابتة فقد يأتي خطاب آخر يحتوى على عواطف

1- الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي: ص140؛ الثقات لابن حبان: ج2، ص282؛ الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج2، ص460.

جياشة فيعصف بما قبله من العواطف.

2 __ استطاع الصحابي عمار بن ياسر (عليه الرحمة والرضوان) من إبطال مشروع عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخروج جملة وتفصيلاً على الرغم من قصر الكلمات؛ بل استطاع أن يعيد الموازين إلى نصابها الحقيقي وبيان حدود ما كلفت به عائشة وما كلف به المسلمون.

فقد (أمرها الله عز وجل بأن تقر في بيتها لقوله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} (1))، ومن ثم فخروجها مخالف للقرآن والسنة فكيف للمسلم أن يتبعها وهي في الأصل قد خالفت القرآن والسنة المحمدية؟!

3 __ إن قتال علي بن أبي طالب لطلحة والزبير وعائشة هو تكليف شرعي قد أمر الله به لقوله تعالى:

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (2).

فهؤلاء قد شقوا جماعة المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان في مبايعتهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام؛ ومن ثم فإن الخروج يلزم أن ينصرف لرد هؤلاء وليس العكس ولذا قال رضوان الله عليه: (وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة).

فالقرآن والسنة يلزمان من آمن بهما أن يخرج لالتحاق بعلي بن أبي

1- سورة الأحزاب، الآية: 33.

2- سورة الأنفال، الآية: 39.

طالب عليه السلام وليس بعائشة وطلحة والزبير.

4__ إن دعوته للناس إلى الخروج كانت تركز على تحكيم العقل من خلال النظر في الحق أولاً - وهو منهج قرآني ونبوي فقد سارت الأنبياء منذ آدم وإلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في مخاطبة العقل البشري في أمر التوحيد ونبذ الوثنية وبالعقل آمن الناس بدعوات الأنبياء عليهم السلام.

وبهذا المنهج الرسالي والقرآني خاطب عمار بن ياسر الناس في الكوفة فدعاهم إلى معرفة الحق أولاً ومن ثم النظر فيما يقوده الحق بمعنى: أن الحق يبحث عن أهله، فمن كان من أهل الحق فسيمكث عنده الحق، ولذا قال عليه الرحمة والرضوان:

(هذا ابن عم رسول الله فاخرجوا إليه، ثم انظروا في الحق ومن الحق معه).

وعليه:

فالتجديد في الخطاب الديني هو ما شهدته أهل الكوفة من تجديد للبنية الفكرية بين الالتفات إلى الشبهات وتشخيص الحق أو النظر إلى الرموز. فهذه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقديسها دون تقديس الحق وتشخيصه واتباعه يقود المسلم إلى الضلال والهاوية.

ولذا: فإن كان الحق مع أم المؤمنين فعلى المسلم أن يتبعها، وإن كان الحق مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام فعليه أن يتبع على بن أبي طالب عليه السلام، فاختار أهل الكوفة على بن أبي طالب عليه السلام؛

لأنهم أدركوا أن الحق معه، كما أدركه المهاجرون والأنصار فخرجوا يقاتلون الفئة الباغية.

الشاهد الثاني: استخدام الخطاب الدينى فى خروج طلحة والزبير لحرب أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام والهدف بلوغ السلطة

فى خروج طلحة والزبير من المدينة وهم يطالبون (بدم عثمان) بلحاظ كونه خليفة المسلمين تحت حماسة الخطاب الدينى مستعينين بعائشة زوج النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ناصراً وملهماً جماهيرياً بما تمتلك من حصانة بين المسلمين.

أما الدافع الحقيقى لهذا الخطاب الدينى المطالب بدم خليفة المسلمين وإقامة الحد عليه كان الوصول إلى الحكم والجلوس على كرسى الخلافة الإسلامية، وحيث أن المانع الأساس من تحقيق هذا الهدف هو مبايعة المسلمين لخليفة آخر وهو الإمام على بن أبى طالب صلوات الله عليه مما يجعل الأمر فى غاية العسر؛ ومن ثم لايد من سلاح الدين للوصول إلى خلافة المسلمين فكان الخطاب الدينى التحريضى على على بن أبى طالب عليه السلام وقتاله تحت مسوغات هذا الخطاب.

ولأنهم أعمتهم الدنيا عن الدين ونسوا الله تعالى فأنساهم أنفسهم بقتالهم وصى رسول رب العالمين مما يعنى أنهم يقاتلون رجلاً مؤيداً من السماء ومن ثم لا يخفى عليه حقائق النفوس وغاياتهم؛ إلا أنه كان يتعامل معهم بما يفرضه عليه القرآن وعلم النبوة التى أورثها له سيد الأنبياء والمرسلين صلى

الله عليه وآله وسلم.

ولذا: بعث عبد الله بن عباس مندوباً عنه إلى الزبير بن العوام بعد أن نهاء من الالتقاء بطلحة فقال عليه السلام لابن عباس:

«لا تلقين طلحة فإنك أن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول: الذلول؛ ولكن إلق الزبير فإنه ألين عريكة فقل له، يقول لك ابن خالك:

«عرفتني بالحجاز أنكرتني بالعراق، فما بدا مما عدا»⁽¹⁾.

فذهب ابن عباس إلى الزبير فكان اللقاء بينهما كالاتي:

قال ابن عباس: إني قد أتيت الزبير، فقلت له⁽²⁾، فقال: قل له إني أريد ما تريد __ كأنه يقول الملك __ لم يزدني على ذلك، فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته⁽³⁾.

وروى عن المدائني أنه قال:

بعث علي عليه السلام ابن عباس يوم الجمل إلى الزبير قبل الحرب، فقال له: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لكم:

1- البيان والتبيين للجاحظ: ص 496؛ عيون الأخبار لابن قتيبة: ج 1، ص 292؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 5، ص 8؛ شرح نهج البلاغة

للمعتزلي: ج 2، ص 162؛ جواهر المطالب للباغوني: ج 2، ص 13؛ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج 3، ص 194.

2- فقلت له ما قال علي عليه السلام.

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج 2، ص 165.

«ألم تبايعني طائعاً غير مكره، فما الذي رابك مني، فاستحللت به قتالي؟».

قال: فلم يكن له جواب إلا أنه قال لي: إننا مع الخوف الشديد لنطمع؛ لم يقل غير ذلك.

قال أبو إسحاق فسألت محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ما تراه يعني بقوله هذا؟ فقال:

(أما والله ما تركت ابن عباس حتى سألته، عن هذا قال: يقول: إننا مع الخوف الشديد مما نحن عليه، نطمع أن نلئ مثل الذي وليتم)(1).

فكان الملك وتولى أمر المسلمين هو الغاية والهدف أما الوسيلة فكانت الخطاب الديني المرتكز على المطالبة بدم عثمان بن عفان وخروج زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقيادة المعركة، وكلا الأمرين ملتصق بالدين فكانا مادة غنية لشحن الخطاب الديني.

الشاهد الثالث: استخدام عبد الله بن الزبير لوسيلة الخطاب الديني في حربه لأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام لأجل تولى أمر المسلمين

إشارة

ذكر المؤرخون خروج عبد الله بن الزبير يوم الجمل وهو يخطب أهل البصرة ويحرضهم على قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج9، ص317.

(أيها الناس! إن علي بن أبي طالب قتل الخليفة بالحق عثمان، ثم جهز الجيوش إليكم ليستولى عليكم، ويأخذ مدينتكم، فكونوا رجالاً تطالبون بدم خليفتمكم، واحفظوا حريمكم، وقاتلوا عن نسانكم وذرايكم وأحسابكم وأنسابكم أترضون لأهل الكوفة أن يردوا بلادكم، أغضبوا فقد غوضبتكم، وقاتلوا فقد قوتلتكم، ألا وإن علياً لا يرى أن معه في هذا الأمر أحداً سواه، والله لأن ظفر بكم ليهلكن دينكم وديناكم).

وأكثر من هذا القول ونحوه، فبلغ ذلك علياً، فقال لولده الحسن:

«قم يا بني فاخطب».

فقام الحسن خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال:

«أيها الناس قد بلغنا مقالة ابن الزبير في أبي، وقوله فيه: (إنه قتل عثمان)، وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين علمتم بقول الزبير في عثمان وما كان اسمه عنده، وما كان يتجنى عليه، وإن طلحة يومذاك راکز رأيته على بيت ماله، وهو حي، فأنى لهم أن يرموا أبي بقتله وينطقوا بدمه، ولو شئنا القول فيهم لقلنا.

وأما قوله: (إن علياً ابتز الناس أمرهم)، فإن أعظم حجة لأبيه زعم أنه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقر بالبيعة وادعى الوليعة فليأت علي ما ادعاه ببرهان، وأنى له ذلك.

وأما تعجبه من تورده أهل الكوفة على أهل البصرة، فما عجبه من

أهل حق توردوا على أهل باطل، أما أنصار عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال، ولكننا نحارب راكبة الجمل وأتباعها»(1).

والملاحظ في الخطاب الديني لعبد الله بن الزبير جملة من المفاهيم الدينية التي أراد تسخيرها لغايته في حرب علي بن أبي طالب عليه السلام بلحاظ أن علياً عليه السلام هو العقبة الأساس في منعه من خلافة المسلمين، هذه الغاية والهدف ظهرا جلياً حينما تولى عبد الله بن الزبير الخلافة على أهل مكة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهلاك يزيد بن معاوية.

فكانت سيرته في الناس تكشف عن تلك الحقيقة القرآنية التي نطقت بها الآية المباركة:

{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} (2).

فمما كان من فعله حينما تولى الخلافة على مكة ما يلي:

1 _ تغييره لبناء الكعبة المشرفة

إن أول عمل قام عبد الله بن الزبير في تغيير المعالم المقدسة هو قيامه بتغيير بناء الكعبة المشرفة من وضعها الذي كانت عليه حينما بناها نبي الله إبراهيم عليه السلام حيث كان ارتفاعها تسعة أذرع وكان لها بابان فبناها عبد الله بن الزبير فرفعها ثمانية عشر ذراعاً أي ضعف قياسها الذي كانت عليه؛ ثم جاء

1- الفتوح لابن أعمش الكوفي: ج2، ص466؛ أحاديث عائشة للعسكري: ج1، ص315 __ 316.

2- سورة البقرة، الآية: 205.

الحجاج بن يوسف الثقفى فهدمها بالمنجنيق بعد أن تحصن بها عبد الله بن الزبير وأعاد بناءها فجعل ارتفاع جدرانها سبعة وعشرين ذراعاً(1).

2 _ حبسه لعبد الله بن عباس وولده فى الشعب وإضرامه النار عليهم

قام بحبس عبد الله بن عباس وولده فى الشعب وأضرم عليهم النار حتى أنقذه أبو عبد الله الجدلى صاحب على بن أبى طالب عليه السلام منه بعناء بالغ(2).

3 _ تركه للصلاة على محمد وآله أربعين جمعة

تركه للصلاة على محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين جمعة حينما كان يخطب الناس فى صلاة الجمعة حتى اعترض عليه الناس، فقال:

(إن له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم واشربوا لذكركه وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر عينهم بذكركه)(3).

4 _ محاربته الشديدة لحبر الأمة عبد الله بن عباس

محاربته الشديدة لحبر الأمة الصحابى الجليل عبد الله بن عباس أشد المحاربة، حتى قال عبد الله بن عباس لولده على وقد ذبحت عنده بقرة فأخرج

1- الكافى للكلينى: ج4، ص207، والرواية عن الإمام الصادق عليه السلام.

2- مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهانى: ص315؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج4، ص62؛ مروج الذهب للمسعودى: ج3، ص88؛ النصائح الكافية لابن عقيل: ص125؛ البحار للمجلسى: ج48، ص183.

3- مقاتل الطالبين للأصفهانى: ص316؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج19، ص92.

كبدها فوجد فيه تنقيباً فقال ابن عباس لولده: هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك (1).

5 _ نفيه لعبد الله بن عباس الى الطائف

قيامه بنفى عبد الله بن عباس إلى الطائف حتى مات فيها فأوصى ولده علياً قائلاً:

(إلحق بقومك من بنى عبد مناف بالشام، ولا تقم في بلد لابن الزبير فيه إمرة) (2).

ويكشف هذا القول عن تهجير بنى عبد مناف من المدينة وأن بعضهم خرج هارباً من سطوة ابن الزبير فاخترت حكم الطلقاء في الشام على السكن في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيت الله في مكة.

وغير ذلك من الأفعال التي تكشف عن حقيقة استخدام الخطاب الديني وسيلة للوصول إلى السلطة، وإن هذا الخطاب الذي كان من سماته أنه يعجب الناس ويتأثرون به فإن استخدامه من بعض المنتحلين للإسلام لغرض الملك والسلطة والخلافة سينتج عنه ويلات عظيمة تهلك الحرث والنسل ويعم الفساد في الأرض كما أخبرت بذلك الآية المباركة.

وعليه:

1- المصدر السابق.

2- مقاتل الطالبين: ص 315؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج 4، ص 62.

فالتجديد ينبغي أن يكون فى البنية الفكرية وذلك من خلال تكوين معارف جديدة عن الإسلام ومعرفة أهله الحقيقيين وهو ما نتناوله فى المسألة القادمة.

المسألة الثالثة: اعرف الدين تعرف أهله، وبهم يتم التجديد فى الخطاب الدينى الذى سنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم

إشارة

لابد من تجديد فى البنية الفكرية وتكوين منظومة معرفية تمكن الإنسان المسلم من بناء نفسه وأسرته ومجتمعه بناءً صحيحاً يحقق له الأمن والحياة الكريمة كما أراد الله تعالى له ذلك ولأجله بعث الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم أجمعين.

وبهذا أمر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وإليه دعا أمة وعليه سارت عترته صلوات الله عليهم أجمعين فاعتمدوا قبل الاهتمام بالخطاب الدينى الاهتمام بالإنسان ورفيه ونجاته فى الدنيا والآخرة فكان خطابهم الدينى يرتكز على منظومة معرفية تقوم ببناء الفكر الإنسانى وترمم ما أفسدته التحولات الفكرية فى الأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — كما مرّ آنفاً، من خلال البحث.

فكان خطابهم الدينى إحدى الوسائل الإصلاحية فى الأمة التى أعادت رسم الصورة الحقيقية للدين.

كى يستطيع المسلم من خلالها الاهتداء إلى أهل الدين، فمن عرف

الدين عرف أهله، ومن عرف أهله آمن من الضلال ونجا في الآخرة؛ فضلاً عن الآثار الكبيرة التي تثمرها هذه المعرفة في بناء الحياة فتكون كما أراد الله لها أن تكون ((خير أمة أخرجت للناس)).

وعليه:

تكمّن الخطوة الأساس في البناء الفكري في معرفة الدين، فكيف يتعرف الإنسان على دينه الذي يطمئن أنه دين الله الذي ارتضاه؟

وجوابه فيما يلي:

أولاً: من هم أهل الدين الذين عرفهم القرآن للناس؟

إشارة

إنّ من أهم التكاليف التي كلف الله تعالى بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هي تعريف الناس بأهل دينه الذين اصطفاهم الله تعالى لشريعته يبينون للناس ما اختلفوا فيه كما أمروا في إرجاع ذلك في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع إلى الله وإليه ولا شك أن الإنسان حينما يعزم على الرجوع إلى الله تعالى فيما يشكل عليه من دينه ودنياه فإنه بحكم العقل يلزم أن يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو من بعثه الله إلى الخلق ليصلح لهم أمر دينهم ودنياهم وذلك أن القرآن شريعة حياة متكاملة تبدأ مع الإنسان من مرحلة ما قبل الولادة وانعقاد النطفة إلى الأجنة ثم الولادة وما بعدها حتى يتمم الإنسان مدته التي حددها الخالق له فينتقل إلى عالم البرزخ حيث النتائج التي حققها عمله الدنيوي، ومن ثم يبقى له منها ما

ينتفع به أو يضر به وهو في قبره كما دلت النصوص الشريفة.

وعليه:

فكل ما يتعلق بهذا الإنسان قد أوجدت له الشريعة حدوداً وسنناً وأسباباً ومن ثم فهو بحاجة إلى معرفة هذه الحدود والسنن كي يحيا بسلام في الدنيا والآخرة.

إلا أن المشكلة تقع في نفس الإنسان فهو يرى بما خلق الله تعالى فيه من قوة العقل والروح أنه الأقوى والخصم الذي لا يهزم فهو لدود(1)، ومجادل شرس إلى الحد الذي يرى في نفسه أن الموت والحياة والصحة والمرض والغنى والفقر والعسر واليسر بيده يتحكم بها كيف يشاء.

ومن هنا:

نشأت الفرق والتحزبات والفئات والوثنية والطاغوتية والجبروتية ومن ثم أصبح لدى الإنسان خليط من التشريعات والمعتقدات والمفاهيم بعد أن ترك لقواه النفسية العنان في سوقه إلى تلك القوى وتجاوزاتها والأهواء وسطواتها جازماً بصواب رأيه وخطأ خصمه مندفعاً إلى إقصاء مخالفه في أقل الأحوال إن لم يكن قد أطفأ صوت غيره وغيب شخص مخالفه.

ومن ثم: كيف يقنع بأن هذا الدين كان له نخبة اصطفاه الله تعالى وهو يرى في نفسه أنه المؤهل لفهم الشريعة إن لم يندفع إلى الاعتقاد بأنه أحد

1- قال تعالى في سورة يس، الآية: 7: ((أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين)).

أعمدها يلحقه ما يلحقها من الشرافة والقدسية والشأنية والخدمة، فمفهوم خدمة الشريعة يعنى خدمته التي منحها كل بركاته ورضاه.

وكيف لا- يطلق الفتاوى (الشرعية) في خصومه والرادين عليه والمظهريين للناس حقيقة دينهم وتصحيح مسار معتقداتهم؟ لا شك أن خصماءه من البدع والمحدثات الذين استوجبوا القصاص قتلاً ونفياً وتكفيراً وتدنيساً.

ولأن المشرع عزّ شأنه حكيم عالم عزيز فقد خص أهل دينه والمصطفين لشريعته بصفات تدفع عنهم التهمة وتميزهم عن الكاذبين وبها يفتضح المدعون ويخزي الكاذبون؛ فبهم يعرف الصواب وإليهم تدب الأبواب، ولهم تحن القلوب وتهوى الأفتدة.

أما من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، فأولئك كما عرفهم القرآن الكريم:

{...وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (1).

ومن ثم لا ينفع معهم كلام مسموع أو مقروء.

وعليه: فإن الله تعالى خص أهل دينه بصفات تميزهم عن الناس كي لا ينتحل منزلتهم منتحل ثم يأتي الناس يوم القيامة فيقولون: أي رب لم نكن نعلم من هم فقد تشابه الأمر علينا، لماذا لم تجعل لهم صفات تميزهم وتدلنا

عليها لنعرفهم، وهذا أمر لم يغفل عنه القرآن الكريم، قال تعالى:

{رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (1).

ولذا: كانت صفات أهل دينه كالآتي:

1 _ إنهم مطهرون من الآثام وكل شيء قدر

وهي ميزة لا يستطيع الإنسان وإن اجتهد على حصولها ما لم يكن هناك اختصاص من الله تعالى؛ وإلا فالساعون في شرق الأرض وغربها في دعواهم بأنهم أصحاب فكر ورؤى وشرائع إلا أنهم ليسوا منزهين عن العيوب وإن اجتهدوا.

ومن ثم فالطهر صفة إلهية اختصت بها الشريعة ومن خصهم الله لها فقال تعالى:

{...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (2).

2 _ العلم بالقرآن والسنة

من الصفات التي خص الله تعالى بها أهل شريعته العلم بالقرآن وتأويله وهي صفة انفرد بها أهل القرآن المصطفين، فقال تعالى:

1- سورة النساء، الآية: 165.

2- سورة الأحزاب، الآية: 33.

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (1).

هذه الآية المباركة نجد مصداقها في التاريخ الإسلامي متجسداً في شخصية واحدة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن جميع الصحابة — مع ما لديهم من معارف — إلا أنهم كانوا يحتاجون علم على بن أبي طالب عليه السلام ولم يحتج أمير المؤمنين على بن أبي طالب إلى أحدٍ منهم في مسألة من العلم سواء علمه بالقرآن أو السنة أو في الكتب والشرايع السماوية التي كانت قبل الإسلام؛ وهذا الأمر لا يحتاج إلى تدليل أو إحالة مرجعية لمن كان له أدنى إطلاع على حياة الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولو أردنا أن نورد للقارئ ما ورد في الأثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن الصحابة أو عن نفس أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام لخرج الكتاب عن موضوعه.

3 _ الصدق

إن أول ما عرفه العرب عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حينما درج فيما بينهم، صفة الصدق والأمانة، فعرفه الناس صالحهم

وطالحهم بـ (الصادق الأمين) فكانت صفته هذه قبل صفة النبوة والرسالة، وذلك أن الصدق هو الأساس في تبليغ الرسالة وبيان الشريعة.

فكل ما يتلفظ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالطه الكذب وقد شهد الله تعالى له بذلك، فقال سبحانه:

{ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } (1).

وقال تعالى:

{ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ } (2).

وقال سبحانه:

{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } (3).

وقال تعالى:

{ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ } (4).

فقلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صادق، ولسانه صادق، وفعله صادق، وهو الصادق الأمين، وكذا من اختارهم الله لشريعته فقال

تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (5).

1- سورة ق، الآية: 18.

2- سورة الحاقة، الآية: 44.

3- سورة النجم، الآيتان: 3 _ 4.

4- سورة النجم، الآية: 11.

5- سورة التوبة، الآية: 119.

ولو درس الإنسان التاريخ وكتب الحديث لوجد أن عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه والأئمة من بعده أبناء على وفاطمة وهم اثنا عشر إماماً سلام الله عليهم أجمعين حينما بينوا الشريعة لم يختلف اثنان منهم فى حكم من أحكام الشريعة فيقول أحدهم هذا حلال والآخر يقول هذا الحرام بما يرشد إلى أنهم عليهم السلام كانوا ينهلون من منهل واحد ومشروع واحد فكانوا الصادقين.

وعليه:

تعد هذه الصفات وغيرها أهم الأدوات التى تقود العقل والقلب إلى معرفة الدين فصفة الطهر فقال تعالى:

{ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } (1).

وخزانة العلم فقال:

{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } (2).

وفى أهل الدين قال:

{... وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ } (3).

1- سورة الواقعة، الآية: 79.

2- سورة النحل، الآية: 89.

3- سورة يس، الآية: 12.

وصفته الصدق فقال سبحانه عن القرآن:

{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (1).

وعن أهل دينه قال:

{ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (2).

وغيرها من الصفات التي كانت متلازمة فيما بين القرآن وأهله.

أما إذا جئنا إلى بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإرشاده الأمة إلى أهل الدين فما أكثره وأيسره وأوضحه وأقطعته حجة على المسلم في الدنيا والآخرة، وهو ما سنتناوله في (ثانياً).

ثانياً: خير ما نستدل به على معرفة الدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين على عليه السلام إلى خاصة أصحابه وشيعته وفيه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إن خير ما نورده هنا ونستدل به على معرفة الدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام إلى خاصة أصحابه وشيعته بعد أن رجع مع معركة النهروان التي قاتل فيها الخوارج، وفي الخطبة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأئمة في بيان ما يؤمن لهم الهداية وعدم الوقوع في الفتنة؛ والخطبة رواها ثقة الإسلام الشيخ الكليني عليه الرحمة والرضوان

1- سورة فصلت، الآية: 42.

2- سورة التوبة، الآية: 119.

ورواها عنه السيد ابن طاووس طيب الله ثراه عن: (على بن محمد ومحمد بن الحسن وغيرهما، عن سهل بن زياد، عن العباس بن عمران، عن محمد بن القاسم بن الوليد الصيرفي، المفضل عن سنان بن ظريف، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«كان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب بهذا الخطاب إلى أكابر أصحابه، وفيها كلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى المقربين من الأظلة، الممتحنين بالبليّة، المسارعين في الطاعة، المنشئين في الكرة، تحية منا إليكم، سلام عليكم، أما بعد:

فإن نور البصيرة روح الحياة الذي لا ينفع إيمان إلا به مع إتباع كلمة الله والتصديق بها، فالكلمة من الروح، والروح من النور، والنور نور السماوات والأرض، فبايديكم سبب وصل إليكم منا نعمة من الله لا تعقلون شكرها، خصكم بها واستخلصكم لها.

{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (1).

إن الله عهد أن لن يحل عقده أحد سواه، فتسارعوا إلى وفاء العهد، وامكثوا في طلب الفضل، فإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يقضى فيها ملك قادر، ألا وإن الأمر كما قد وقع لسبع بقين من صفر، تسير فيها الجنود، يهلك فيها

البطل الجحود، خيولها عراب، وفرسانها حراب، ونحن بذلك واقفون، ولما ذكرنا منتظرون انتظار المجدد المطر لينبت العشب، ويجنى الثمر، دعاني إلى الكتاب إليكم استتقاذكم من العمى، وإرشادكم باب الهدى، فاسلكوا سبيل السلامة، فإنها جماع الكرامة، اصطفى الله منهجه، وبين حججه، وأرف أرفه، ووصفه وحده وجعله نصا كما وصفه، إن العبد إذا أدخل حفرته يأتيه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير، فأول ما يسألانه عن ربه، وعن نبيه، وعن وليه، فإن أجاب نجا وإن تحير عذباه.

فقال قائل: فما حال من عرف ربه، وعرف نبيه، ولم يعرف وليه؟

فقال: ذلك مذذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

قيل: فمن الولي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال: وليكم في هذا الزمان أنا، ومن بعدى وصيى، ومن بعد وصيى لكل زمان حجج الله كي ما تقولوا كما قال الضلال قبلكم حيث فارقه نبيهم:

{... رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى } (1).

وإنما كان تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء فأجابهم الله:

{قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى} (1).

وإنما كان تربصهم أن قالوا: نحن في سعة عن معرفة الأوصياء حتى يعلن إمام علمه، فالأوصياء قوام عليكم بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، لأنهم عرفاء العباد عرفهم الله إياهم عند أخذ الموائيق عليهم بالطاعة لهم، فوصفهم في كتابه فقال عز وجل:

{...وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ...} (2).

وهم الشهداء على الناس، والنبيون شهداء لهم بأخذه لهم موائيق العباد بالطاعة، وذلك قوله:

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} (3).

وكذلك أوحى الله إلى آدم: أن يا آدم! قد انقضت مدتك، وقضيت نبوتك، واستكملت أيامك، وحضر أجلك، فخذ النبوة وميراث النبوة واسم الله الأكبر فادفعه إلى ابنك: هبة الله، فإني لم أدع

1- سورة طه، الآية: 135.

2- سورة الأعراف، الآية: 46.

3- سورة النساء، الآيتان: 41 _ 42.

الأرض بغير علم يعرف، فلم تزل الأنبياء والأوصياء يتوارثون ذلك حتى انتهى الأمر إلى، وأنا أدفع ذلك إلى على وصيى، وهو منى بمنزلة هارون من موسى، وإن عليا يورث ولده حيههم عن ميتهم، فمن سره أن يدخل جنة ربه فليتول عليا والأوصياء من بعده، وليسلم لفضلهم، فإنهم الهداة بعدى، أعطاهم الله فهمى وعلمى، فهم عترتى من لحمى ودمى، أشكو إلى الله عدوهم والمنكر لهم فضلهم، والقاطع عنهم صلتى، فنحن أهل البيت شجرة النبوة ومعدن الرحمة ومختلف الملائكة، وموضع الرسالة، فمثل أهل بيتى فى هذه الأمة كمثل سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، ومثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له، فأياها راية خرجت ليست من أهل بيتى فهى الدجالية، إن الله اختار لدينه أقواما انتجبههم للقيام عليه والنصر له، طهرهم بكلمة الإسلام، وأوحى إليهم مفترض القرآن، والعمل بطاعته فى مشارق الأرض ومغاربها، إن الله خصكم بالإسلام، واستخلصكم له، وذلك لأنه أمتع سلامة، وأجمع كرامة، اصطفى الله منهجه، ووصفه ووصف أخلاقه، ووصل أطنابه من ظاهر علم وباطن حكم، ذى حلاوة ومرارة، فمن طهر باطنه رأى عجائب مناظره فى موارد ومصادره، ومن فطن لما بطن رأى مكنون الفطن وعجائب الأمثال والسنن، فظاهاه أنيق، وباطنه عميق، ولا تقنى غرائب، ولا تنقضى عجائبه، فيه مفاتيح

الكلام، ومصايح الظلام، لا يفتح الخيرات إلا بمفاتيحه، ولا تكشف الظلمات إلا بمصايحه، فيه تفصيل وتوصيل، وبيان الاسمين الأعلىين اللذين جمعا فاجتمعا، لا يصلحان إلا معا، يسميان فيفترقان، ويوصلان فيجتمعان، تمامهما فى تمام أحدهما، حوالها نجوم، وعلى نجومها نجوم، ليحمى حماه، ويرعى مرعاه، وفى القرآن تبيانه وبيانه وحدوده وأركانه، ومواضع مقاديره، ووزن ميزانه، ميزان العدل، وحكم الفصل، إن دعاة الدين فرقوا بين الشك واليقين، وجاءوا بالحق، بنوا للإسلام بنيانا فأسسوا له أساسا وأركاناً، وجاءوا على ذلك شهوداً بعلامات وأمارات، فيها كفى المكتفى، وشفاء المشتكى، يحمون حماه، ويرعون مرعاه، ويصونون مصونه، ويفجرون عيونه، بحب الله وبره وتعظيم أمره وذكره بما يحب أن يذكر به، يتواصلون بالولاية، ويتنازعون بحسن الرعاية، ويتساقون بكأس روية، ويتلاقون بحسن التحية، وأخلاق سننية، قوام علماء أمناء، لا يسوق فيهم الريبة، ولا تشرع فيهم الغيبة، فمن استبطن من ذلك شيئاً استبطن خلقاً سننياً، فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه، واجتنب من يرديه، ويدخل مدخل كرامة، وينال سبيل سلامة، تبصرة لمن بصره، وطاعة لمن يهديه إلى أفضل الدلالة، وكشفا لغطاء الجهالة المضلة المهلكة، ومن أراد بعد هذا فليظهر بالهدى دينه، فإن الهدى لا تغلق أبوابه، وقد فتحت أسبابه ببرهان

وبيان، لامرئ استنصح وقبل نصيحة من نصح بخضوع وحسن خشوع، فليقبل امرئ بقبولها، وليحذر قارعة قبل حلولها، والسلام»(1).

إذن:

لا يجد الإنسان عذراً يوم القيامة حينما يسأل عن إمامه الذى أخذ عنه دينه الذى يدين الله تعالى به، وهذا أولاً.

وثانياً: أن الغرض من كتابة أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الكتاب هو لتجديد البنية الفكرية للمسلم فيعرف أين يضع قدمه، ومن أين يأخذ دينه، وبمن يضع أغلى ما يملك وهو إيمانه بالله تعالى ورسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وليس التجديد هو اختيار الكلمات فى الخطاب الدينى أو التمازج بالعصرنة مع ما لها أغراض خدمية تنهض بالمستوى المعيشى للإنسان وليس سلبه عقله وثقافته ودينه.

وثالثاً: قطع الحجة على من أراد أن يدعى أحقيته فى الجلوس مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتى الناس بغير حق فى أمر دينهم ودنياهم.

ورابعاً: كى لا يحتج محتج يوم القيامة على الله فيقول ما علمت حقيقة الأمر ولم أبلغ به.

وخامساً: كان ذلك تقنياً لحياة المؤمنين وتثبيتاً لهم فيما سيمرون به من

1- كشف المحجة لثمره المهجة: ص 189 __ 19؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج30، ص 37 __ 42؛ نهج السعادة للمحمودى: ج5، ص134.

شبهات ومحن عظيمة كقتل وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتل الإمام الحسن عليه السلام وما يجرى على الإمام الحسين عليه السلام وعياله في كربلاء، فضلاً عن اتباع كثير من المسلمين للباطل وتحزبهم لشيعة بنى أمية وانحذارهم الفكرى والمعرفى.

ولذا: كانت هذه الكتب التى أرسلها الإمام على عليه السلام فى بلاد المسلمين وخص بها شيعته لغرض حفظهم من الفتن وتهيئة الأرضية لبناء المجتمع المسلم من الانهيار، ولهذه الأمور وغيرها كان خطاب العقيلة زينب عليها السلام فى مجتمع الكوفة بأدواته الإصلاحية فى بناء منظومة معرفية تمكن الإنسان من التغيير والنهوض نحو الحياة الكريمة، وهو ما سنتناوله فى المبحث القادم.

المبحث السادس: دور خطاب العقيلة زينب عليها السلام في إصلاح البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي في الكوفة

إشارة

لم يشهد المجتمع الإسلامى حدثاً أثرت نتائجه فى الإسلام إلى يومنا هذا بل — ولم تزل — حتى ظهور المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثل حدث مقتل الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء وعلى أرض كربلاء فى العراق.

وإن المقدمات والأسباب التى كونت هذا الحدث هى الأخرى لم تكن صغيرة أو عادية بل مما لا شك فيه أنها كانت بموازاة وقوع الحدث؛ وذلك أن التغيير فى البنية الفكرية من خلال مجموعة من الوسائل، كان أبرزها الخطاب الدينى قد أسهمت بشكل فعال فى اندفاع المسلمين إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة فى حق نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قتل ریحانته وسيد شباب أهل الجنة مع أهل بيته جميعاً بما فيهم طفله الرضيع ذو الستة الأشهر، والتمثيل بالأجساد، وسحقها بحوافر الخيل، وتقطيع الرؤوس وحملها مع النساء وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهنّ ينظرنَ إلى رؤوس أبنائهن وإخوانهن وأزواجهن مع أطفالهن وقد أفقدهم الهلع والخوف كل قرار، فبين صارخ باكِ وشاخص عينه إلى الرؤوس وقد اختنق صوته فى

صدره وجمد الدم فى عروقه فمن مات منهم بالطريق دفن فى محله، ومن أعانته قواه على العيش كان بقية حياته يعيش تلك المأساة التى تغلغت فى الوجدان الإنسانى.

ومن ثم:

فإن المسؤولية الشرعية التى ألقيت على عاتق العقيلة زينب عليها السلام وابن أخيها الإمام زين العابدين عليهما السلام فى ترميم هذا الشرخ والتلق فى البنية الفكرية للمسلم فضلاً عن حفظ من بقى من آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم تستلزم أن يكون خطابها الدينى يحمل من المقومات التى تستطيع أن تعيد المسلم إلى الإسلام الحقيقى المحمدى، وتنتزع منه الأفكار الهدامة والمعطيات الإرهابية والتكفيرية.

فكان التجديد فى الخطاب الدينى يرتكز على إصلاح البنية الفكرية وترميمها وليس على الكلمات التحريضية أو المصطلحات المنمقة أو الأكاذيب، أو البدع وإنما على تشخيص مواطن الانحراف الفكرى وطرق معالجتها مما أحدث تغييراً قوياً أعاد التوازن إلى العقيدة الإسلامية بعد أن كادت تصبح جاهلية عمياء وأموية جهلاء لا تحمل إلا العداة لله ورسوله صلى الله عليه وآله ومما آمن بهما.

وعليه: فإن دور الخطاب الدينى للعقيلة زينب فى إصلاح البنية الفكرية للمجتمع الإسلامى كان كالاتى:

المسألة الأولى: من هي العقيلة زينب عليها السلام؟

قد تكون الإجابة على السؤال الذي تصدّرت به المسألة الأولى تحصيل حاصل لكثير من المسلمين لاسيما أبناء المذهب الإمامي الإثني عشري، فضلاً عن المسلمين الموالين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن هذا لا يمنع من معرفة أقوال المصنفين من أبناء العامة الذين ترجموا للصحابة والرموز والشخصيات الإسلامية، وفي ذلك المقام فقد قالوا:

1 __ قال ابن سعد (المتوفى 230هـ):

(زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي، وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله __ وآله __ وسلم، تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، فولدت له علياً وعمراً الأكبر، وعباساً، ومحمداً، وأم كلثوم)⁽¹⁾.

2 __ قال الحافظ ابن عساكر الأموي الدمشقي (المتوفى سنة 571هـ):

(امرأة جزلة كانت مع أخيها الحسين بن علي بن أبي طالب __ عليهما السلام __ حين قتل، وقد قدم بها علي يزيد بن معاوية مع أهلها.

حدثت عن أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأسماء بنت عميس، ومولى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمه ذكوان.

روى عنها: محمد بن عمرو، وعطاء بن السائب، وبنت أخيها فاطمة

1- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج8، ص465.

بنت الحسين بن علي _ عليهما السلام (1).

3 _ قال الحافظ ابن الأثير الجزري (المتوفى سنة 630هـ):

(زينب بنت علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه _ وآله _ وسلم، أدركت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولدت في حياته، ولم تلد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته شيئاً وكانت زينب امرأة عاقلة لبيبة جزلة، زوجها أبوها علي _ عليهما السلام _ من عبد الله ابن أخيه جعفر، فولدت له علياً، وعونا الأكبر، وعباساً، ومحمداً، وأم كلثوم.

وكانت مع أخيها الحسين _ عليهما السلام _ لما قتل وحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد وكلامها ليزيد حين طلب الشامي أختها فاطمة بنت علي مشهور مذكور في التواريخ وهو يدل على عقل وقوة جنان (2).

والذي يهمننا في هذه الأقوال ويستفاد منه في البحث ما يلي:

1 _ إنها كانت حاضرة في مأساة كربلاء وهو أمرٌ لا يقبل الشك أو الشبهة مما يستلزم تتبع دورها في الحدث.

2 _ إنها سببت من بلد إلى بلد، وقد استعاض عنها الحفاظ بلفظ (حملت مع أهلها إلى يزيد) دون الدخول في بيان كيفية الحمل ولعلمهم أرادوا

1- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج8، ص166.

2- أسد الغابة: ج5، ص469؛ الإصابة لابن حجر: ج8، ص166.

بذلك دفع النصوص القائلة في سببها وإن كانت الكلمات لم تكشف عما جرى لها في هذه الرحلة.

3 __ إنها (جزلة، لبيبة، عاقلة) وقد جرى بينها وبين يزيد بن معاوية حوار، إلا أنهم لم يخوضوا في ذلك الحوار، ولعل الذي منعهم منهج الكتاب فقد خصص للترجمة ولم يكن سياقه التاريخي بالمعنى الحرفي للمنهج التاريخي.

وعلى أية حال فقد كان لها خطاب ديني حينما حملت من كربلاء ثم إلى الكوفة ثم إلى الشام؛ وإن هذا الخطاب كان في مدينتين مهمتين في العالم الإسلامي آنذاك وهما، الكوفة ودمشق، وقد حددت مقومات الإصلاح في البنية الفكرية لكل مجتمع من المجتمعين فكانت هذه المقومات كالآتي:

المسألة الثانية: مقومات الإصلاح للبنية الفكرية في خطابها الديني لمجتمع الكوفة

إشارة

يشتمل الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام على مجموعة من الأدوات التي تعمل على تقويم البنية الفكرية للمجتمع المسلم في الكوفة، هذه البنية التي تكونت بفعل المعطيات الثقافية والعقدية التي ضحها أرباب السلطة خلال نصف قرن، أي منذ أن توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يوم عاشوراء فنتج عنها هذه الأفعال البشعة في أقدس المقدسات وهي حرمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسفك دمه وفري لحمه وسبى عرضه.

ومن ثم:

فإن هذه البنية التي أفرزت هذه الجرائم والانتهاكات التي لا يعدلها شيء إلى يوم القيامة فإنها بحاجة إلى إعادة بناء أساسية تضمن __ بنسبة ما __ عدم وقوع مثل هذه الجرائم مع الحرمات والمقدسات النبوية؛ فضلاً عن المقدسات والقيم التي جاء بها الإسلام؛ فكانت هذه الأدوات كالاتي:

الأداة الأولى: الصدمة الثقافية (Inter cultural communication)

أولاً: تعريف مصطلح الصدمة الثقافية

الصدمة الثقافية: هي (إحدى وسائل الاتصال الثقافي المتباين)، وهو تعبير يستعمل لوصف المخاوف والمشاعر (من المفاجأة، الحيرة، الفوضى) المحسوسة عندما يتعامل الناس ضمن ثقافة أو محيط اجتماعي مختلف تماماً، كالبلاد الأجنبية، وترتفع هذه الصعوبات في خلال استيعاب الثقافة الجديدة، مما يشكل صعوبات في معرفة الملائم، وفي أغلب الأحيان ترتبط هذه الثقافة بالاشمزاز الكبير حول بعض صفات الثقافة الجديدة أو المختلفة(1).

ويمكن أن نستنتج من هذا التعريف مفهوماً يدور حول تلقي الإنسان ثقافة جديدة تختلف عن ثقافته التي اكتسبها ونشأ عليها فيصطدم بهذه الثقافة الجديدة التي تولد لديه شعوراً نفسياً يتدرج بين المفاجأة ثم الحيرة ثم الفوضى وهو يحاول التأقلم مع هذه الثقافة الجديدة عليه؛ فإما التراجع والانكفاء والاعتزال عن الحياة فينزوي الإنسان مع ذلك الموروث الثقافي الذي تغلغل في

فكره وأصبح مكوناً من مكوناته الشخصية وعنواناً لهويته الاجتماعية فضلاً عن عقيدته الدينية؛ وإما الخنوع والخضوع لهذه الثقافة الجديدة.

وهذه الحالة وإن كان الالتفات إليها من قبل العالم (كلفيرو أو بيرج kalcerro ober عام 1954) نتيجة لما يعانيه المسافرون والمهاجرون من بلد إلى آخر يختلف بينه وبين البلد الأم المستوى الثقافي والحضارى والمعرفى والدينى فضلاً عن العادات والتقاليد واللغة والتي جميعاً تدخل ضمن المكون الثقافى للإنسان.

وتحديد هويته الاجتماعية إلا أننا نجد أن (الصدمة الثقافية) كانت لها جذورها بالمفهوم والمصادق فى المجتمع الإسلامى وخاصة فى القرن الأول للهجرة النبوية، وهو ما سنتناوله فى (ثانياً).

ثانياً: جذور الصدمة الثقافية تعود للقرن الأول للهجرة النبوية

منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى عام الطف، أى بعد مرور خمسين سنة على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبحت (الصدمة الثقافية) بعد يوم عاشوراء واقعاً اجتماعياً وعقدياً لا يمكن الاستهانة به أو غض الطرف عنه أو تجاهله فقد شهد المجتمع الإسلامى ثقافة جديدة تختلف عن ثقافة القرآن والسنة النبوية المطهرة وإن الصحابة والتابعين وأبناءهم قد نشؤوا بعد أحداث السقيفة التى اجتمع فيها الأنصار وثلة من المهاجرين ليخرجوا بيعة أبى بكر على ثقافة جديدة تصطدم مع ثقافة القرآن وسنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، إنها ثقافة

الشيخين واجتهاداتهم فضلاً عن ثقافة زوج النبي عائشة وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وأبي هريرة وغيرهم حتى باتت تداعيات هذه الثقافة تظهر على المجتمع الإسلامي لاسيما تردداتها القوية على رأس السلطة ممثلة بخليفة المسلمين كما في حادثة دار الخلافة وقتل عثمان بن عفان ودفن جثته في مقابر اليهود في حش كوكب.

ولم تزل هذه الثقافة الجديدة تنمو وتتسع لتتخذ منحىً جديداً يكشف عن تجذر هذه الثقافة في المجتمع الإسلامي واتخاذها طابع الانفعال الجماعي في حمل السيف والتقاتل فيما بينها كما في الجمل وصفين والنهروان لينتهي الأمر باستشهاد أمير المؤمنين ووصى رسول رب العالمين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مسجد الكوفة لتنتهك بذاك حرمة عديدة، حرمة الله، وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وحرمة المسجد، وحرمة شهر رمضان المبارك!!!

ومن ثم فقد أصبح المجتمع الإسلامي في عام (39 للهجرة النبوية) يعيش على أسس فكرية وعقدية جديدة لا علاقة لها بالقرآن والسنة النبوية التي ثقفت المسلمين على صون الحرمات واجتناب الحدود الإلهية وحفظ المقدسات والقيم الإسلامية.

حتى إذا استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان واستجابت له الأمصار

الإسلامية عمل جاهداً على التثاقف (1) طيلة عشر سنوات حتى هلك؛ تاركاً خلفه ثقافة جديدة في مختلف المدن الإسلامية حتى باتت هذه الثقافة هي الثقافة المسيطرة والغالبة على معظم المسلمين مما شكل لديهم __ وبفعل هذه الثقافة الأموية __ عقيدة جديدة تتقرب إلى (الله) في قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!

بل إنها لتفعل به من فنون القتل والإرهاب ما لم تفعله أمة من الأمم في آل رسولها ونيبها حتى أصبح آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم العدو، ولا المشركون والكفار والمنافقون كل ذلك بفعل التثاقف الأموي وشياع عقيدة آل أبي سفيان في المجتمع الإسلامي لاسيما الكوفة التي كانت عاصمة الخلافة في (36 __ 40هـ).

وعليه:

كانت الأداة الأولى للعقيلة زينب عليها السلام في إصلاح البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي في الكوفة هي الصدمة الثقافية، صدمة ثقافة القرآن والسنة بثقافة بني أمية، فماذا صنعت عليها السلام؟ هذا ما سنعرض له في الأداة الثانية.

1- يشمل التثاقف التغيير الثقافي في تلك الظواهر التي تنشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر مستمر معهما مما يترتب عليه حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في إحدى هاتين الجماعتين أو فيهما معاً (علم خصائص الشعوب للجباوى: ص 392).

الأداة الثانية: استرعاء الانتباه الجماهيري

الأداة الثانية: استرعاء (1) الانتباه الجماهيري إن أول عملٍ قامت به عقيلة الطالبين السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام هو استرعاء الانتباه الجماهيري في المجتمع الكوفي حينما دخل الركب المحمدي إلى أزقة الكوفة وقد سار بهم الجند نحو قصر الإمارة حيث جلس أمير السلطنة الأموية علي الكوفة آنذاك عبيد الله بن زياد.

إلا أن ثمة سؤالاً يفرضه البحث: ما الذي دفع الناس إلى التجمع في أزقة الكوفة؟ إنه سؤال فرضته الحالة الاجتماعية التي واكبت دخول الركب المحمدي والحسيني إلى الكوفة، فهناك من توجه إلى النساء المقيدات بالحبال والمسيريات على الجمال بدون وقاءٍ أو سترٍ يستترهنّ من أشعة الشمس فقد بدينَ للناس وهن سافرات الوجوه وبدون محامل في أبشع صورة من صور الاستهانة والاستخفاف.

والإجابة من أوجه عدة:

1 __ إن من السنن الإلهية أن يندفع الظالمون للقيام بأعمال إجرامية وهم يظنون أنهم بذلك يحققون الانتصار على إرادة الله تعالى وشريعته؛ في حين أننا نجد أن القرآن يعرض لهذا المنهج في بيانه لسنة إلهية وهي رد هذا المكر بحكمة ربانية وهو القائل:

1- استرعى، يسترعى، استرع، استرعاء، فهو مسترعٍ، والمفعول مسترعى، استرعاه سره استودعه، استرعى الانتباه __ استرعى النظر: استرعى الالتفات والاصغاء؛ استرعاه سمعه طلب منه أن يُصغى إليه؛ (معجم اللغة العربية المعاصر).

{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (1).

وقد ظن عمر بن سعد __ لعنه الله __ أنه انتصر فأرسل برأس الإمام الحسين عليه السلام مبكراً لكي يدخل السرور على قلب عبيد الله بن زياد __ لعنه الله __ وشياع الخبر في الكوفة في حين كان هذا الأمر على قساوته وفضاعته قد حقق التهيئة النفسية والاجتماعية والإعلامية لقدوم العقيلة زينب والركب المحمدي الحسيني يتقدمهم الإمام زين العابدين عليه السلام وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بنات على وفاطمة الصديقة سيدة نساء العالمين صلوات الله عليهم أجمعين.

بمعنى:

أن إدخال الرأس المقدس لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكوفة قد دفع بالمجتمع الكوفي إلى التهيؤ والترقب لقدوم جيش الكوفة من أرض كربلاء؛ ومن ثم فالهدف في بادئ الأمر كان استعلام حال الجند ومعرفة ما آلت إليه المعركة.

2 __ إن الحالة المأساوية التي كان عليها بنات النبوة تدفع بالكثير من الناس الواقفين للتفرج ومعرفة هوية هؤلاء القادمين إلى الكوفة، وذلك أن الكوفة كانت قد أسست منذ البدء على أنها حاضنة عسكرية ومحطة للجند والمؤن والإمداد ولذا: فقد ضمت عشائر عربية وأعجمية وهم الحميران والديلم.

ومن ثم فإن قدوم الأسارى بيد الجيش الإسلامى إلى الكوفة يعدّ أمراً بديهيّاً لدى الناس إلا أن الحالة التى عليها هؤلاء النسوة كانت فظيعة ومؤلمة وغريبة مما دفع بعض النساء أو الرجال للسؤال عن هوية هذا الركب، ومن أى الأسارى هم.

3 __ لا شك أننا هنا نتحدث عن الركب المحمدى، نتحدث عن شجرة النبوة فهذه بقية الله تعالى وبضعة بنت رسوله المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا زين العابدين وهؤلاء بنات على أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين؛ ومن ثم فقد امتاز أصحاب هذا الركب بالبهاء والنور المحمدى الذى كسا تلك الوجوه التى لم تستطع أشعة الشمس وجهد المصيبة وعناء الطريق وألم المصاب من حجب هذا النور المحمدى.

ولذا: بادرهم الناس بالسؤال:

(ما رأينا سبائاً أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟ فقالت سكينه بنت الحسين عليهما السلام: «نحن سبائا آل محمد»)(1).

وهذه الحالة وإن كانت فى الشام إلى أنها أحد الأسباب التى كانت تدفع الناس إلى السؤال.

وعليه:

كانت العقيلة زينب قد أعدت عدتها لإحداث الصدمة الثقافية، ثقافة القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثقافة الجاهلية والتشيع

1- قرب الإسناد للحميرى: ص26؛ الأمالى للصدوق: ص23.

لرموزها وقادتها آل أبي سفيان، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى: استرعاء الانتباه بجوابها الذي انتظره الناس الذين تقدمتهم تلك المرأة الكوفية التي أشرفت من على سطح دارها وهي تنظر على هذا الركب فقالت: من أى الأسارى أنتن؟

فكان الجواب كالصاعقة:

«نحن من أسارى آل محمد — صلى الله عليه وآله وسلم —».

فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهنّ ملاء وأزرا ومقانع وأعطتهن فتغطين(1).

أما لماذا قالت هذه المرأة الكوفية لبنات الرسالة الحمديّة: (من أى الأسارى أنتن)، فى حين كان سؤال المرأة الشامية ووصفها لهن بالسبايا، فكان الجواب:

هناك: (نحن سبايا آل محمد) وهنا فى الكوفة: (نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو؟

إن الكوفة أعدت منذ تأسيسها حاضنة للجند ومقرأ لهم، ومن ثم فإن أهلها كان جلهم من ذوى العسكر وأهاليهم ومن ثم كونها، أى الكوفة حاضنة للجند دعا إلى استقبالها لحركة العسكر وترقب تحركهم فى اتجاه

1- اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص 86؛ مثير الأ-حزان لابن نما الحلى: ص 66؛ البحار للمجلسى: ج 45، ص 108؛ العوالم للبحراني: ص 377؛ لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: 199.

الشرق وجلب من يؤسر من هذه المدن إلى الكوفة.

وعليه:

كان الجيش الكوفى حينما يخرج منها للقتال، ثم يعود فإنه يكون قد جلب معه مجموعة من الأسارى وهو الذى دعا هذه المرأة التى تسأل عن هوية هذا الركب، وذلك لأنها لاحظت سمات على أصحابه لم تكن قد لاحظتها من قبل؛ لكن هذه المرأة لما تلقت تلك الصدمة الثقافية، فعرفت أن هؤلاء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهلت، فاندفعت تجمع لهن المقانع بعد أن سلبهن الأعداء وجاءوا بهن سافرات الوجوه وهن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم!!

ولا شك أن جلبها للمقانع من النساء الكوفيات عمل على نشر الخبر بشكل سريع، فتلك النسوة اللاتي وقفن على سطوح دورهن ينظرن إلى هذا الموكب الذى قدم الكوفة وقد تخلله العزف على الطنبور والبوق للإعلان عن عودة الجيش منتصراً عمل على نشر الخبر بين النساء الكوفيات ومن ثم إلى الرجال والأولاد فاندفع الجميع إلى الطرقات وهم يسرون بجانب هذا الموكب المحمدى لينتظروا ما سيفعله عبيد الله بن زياد والى الكوفة.

ولأن الصدمة الثقافية كانت لها ارتداداتها النفسية والفكرية على أهل الكوفة، فقد اندفع الناس إلى التعامل بصورة تكشف عن التماس الاعتذار والإحسان لهذا الركب المحمدى فبادروا إلى جمع التمر والجوز وتقديمه للأطفال.

فكيف واجهت السيدة زينب عليها السلام هذه الاستجابة بعد استرعاء الانتباه إلى أنهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

الأداة الثالثة: النافذة الانفعالية

الأداة الثالثة: النافذة الانفعالية (1)

إن من البدهة بمكان أن تكون العقيلة زينب عليها الصلاة والسلام على مستوى عال من الفهم والعلم والحكمة، وهي التي أعدها جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووالدها أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، وأمها سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء عليها السلام؛ ومن ثم أشرف على إعدادها وتهيتها سبطا الرحمة وإماما الهدى الحسن والحسين عليهما السلام حتى قال في حقها الإمام زين العابدين عليه السلام:

«فأنتِ بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة» (2).

1- تعرف النافذة الانفعالية: بأنها القدرة أو المهارة التي تساعد على فهم سمات انفعالات الجماعة؛ تتضمن الأمثلة على سمات انفعالات الجماعة، مستوى تنوع الانفعالات بين أعضائها؛ (أى التنوع العاطفي) ونسبة المشاعر الايجابية أو السلبية، والمشاعر الشكلية (أى الأكثر شيوعاً) الحاضرة في الجماعة؛ عرف التعبير (النافذة الانفعالية) للمرة الأولى عالم النفس الاجتماعي (جيفرى سانشيز بوكس والمنظر التنظيمي كوى هوى) وكما في ضبط فتحة الكاميرا لزيادة عمق المجال، تتضمن النافذة الانفعالية ضبط عمق المجال الفرد للتركيز ليس فقط على انفعالات شخص واحد ولكن أيضاً على انفعالات الآخرين في المجال البصرى؛ الفرق بين الانفعالات على مستوى الفرد في مقابل الانفعالات على مستوى الجماعة تعتمد على الفرق بين المنظور التحاملى والشمولى؛ (ويكيديا _ انفعال جماعى).

2- الاحتجاج للطبرسى: ج2، ص31؛ البحار للمجلسى: ج45، ص164؛ العوالم للبحراني: ص370؛ مستدرک سفينة البحار: ج4، ص315.

ومن ثم فإن قدرتها عليها السلام ومهارتها في فهم سمات انفعالات الجماعة، أى جماعة أهل الكوفة ومستوى تنوع هذه الانفعالات التي ابتدأت بجمع الأقنعة والأزر لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كى يسترنَ بها وجوههنّ ثم تطور هذه الانفعالات وتنوعها من الاندفاع لستر النساء إلى نوع آخر موجه للأطفال؛ إذ تفيد الرواية التاريخية بأن أهل الكوفة أخذوا يناولون الأطفال التمر والجوز والخبز، فصاحت العقيلة زينب: ((إنّ الصدقة علينا حرام)) ثم رمت به إلى الأرض (1).

وهذه المقولة وإن كانت تستند إلى حكم شرعى مرتبط بشأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله الذين حرم الله عليهم الصدقة؛ ومن ثم كان تكليفها الشرعى هنا منع تناول هذا الطعام الذى اكتسب عنوان الصدقة فأصبح حراما على أطفال الحسين عليه السلام وأحفاده.

فكان الأمر هنا موجها إلى بنى هاشم خاصة كما أمر الله تعالى بذلك.

لكن هذا الأمر من ناحية علم الاجتماع النفسى، ومن أداة النافذة الانفعالية، فإن العقيلة زينب عليها السلام قد ضبطت عمق المجال الانفعالى

1- البحار للمجلسى: ج45، ص115؛ العوالم للشيخ عبد الله البحرانى: ص373؛ ينابيع المودة للقندوزى: ج3، ص87؛ المجالس الفاخرة للسيد عبد الحسين شرف الدين: ص314؛ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج7، ص138؛ مستدرک سفينة البحار للشاهرودى: ج6، ص247؛ مصابيح الظلام للوحيد البهبهانى: ج10، ص496؛ مصباح الفقاهة للسيد أبى القاسم الخوئى: ج1، ص802؛ مصباح الفقاهة فى المعاملات للسيد الخوئى، تقرير بحث الخارج للسيد الخوئى المقرر الشيخ التوحيدى التبريزى: ص791.

ليس للفرد فقط وإنما لانفعالات الجماعة لما يترتب على هذا الفعل من آثار إيجابية نحو الهدف الأسمى وهو إصلاح البنية الفكرية؛ فهؤلاء الذين أكرمهم الله تعالى وشرفهم على الناس فحرم عليهم أوساخ أموالهم بما للصدقة من دلالات على الفقر والاحتياج إلى الغير، كيف لكم يا مسلمون من أن تتعرضوا لدمائهم وأموالهم.

بمعنى: تحريك المشاعر وشد الأذهان إلى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإرجاعهم إلى الدين الحق وليس إلى الجاهلية التي أعادها آل أبي سفيان، ومن قبلهم أهل السقيفة.

وعليه: انعكس ذلك على المستوى العام لمجتمع الكوفة فأصبح أمر قيادتهم بما أراد له الإمام الحسين عليه السلام من مشروعه الإصلاحى لأمة جده بيد العقلية زينب عليها السلام فانتقلت بعد هذه الأداة، أى النافذة الانفعالية إلى أداة جديدة، وهى كالتى:

الأداة الرابعة: المنظور التطورى النفسى

الأداة الرابعة: المنظور التطورى النفسى (1)

وفقاً للنهج التطورى النفسى، تعمل عاطفة الجماعة على مساعدة التواصل بين أعضاء الجماعة وقد لوحظ هذا التطور النفسى من خلال

1- وفقاً للنهج التطورى النفسى، تعمل عاطفة الجماعة على مساعدة التواصل بين أعضاء الجماعة؛ فتخبر الحالة العاطفية للجماعة أعضائها عن عوامل فى البيئة، فإذا كان الجميع فى مجال سببٍ مثلاً فمن الضرورى تغيير الظروف أو ربما العمل بجهد أكبر لتحقيق الهدف وتحسين هذه الظروف، كما أن العاطفة المشتركة فى الجماعات تنسق النشاط الجماعى عن طريق تعزيز روابط الجماعة وولائها؛ (الموسوعة الحرة __ ويكيبيديا __ انفعال جماعى).

التواصل بين أهل الكوفة في جمعهم للوقائع ومن ثم تقديم التمر والجوز والخبز للأطفال ليصل إلى مرحلة أعلى من التطور حينما سمعوا قول العقيلة زينب عليها السلام (إن الصدقة علينا حرام) فعندها عملت العاطفة على مساعدة التواصل بين أهل الكوفة إلى الاستجابة لإشارتها لهم بيدها وقد تجمعوا من حولها لينظروا ما تفعل ولعلمهم لم يكونوا يتوقعون أنها ستخطب فيهم وقد قتل جيش الكوفة وخيل أهل الشام أخوتها وبنيتها وأهل بيتها ونهبوا أموالهم وكانهم من سبي أهل ملة أخرى.

ولذا:

ترشد الرواية التاريخية الكاشفة عن التطور النفسى للحالة العاطفية المشتركة لأهل الكوفة في انشادهم للعقيلة زينب عليها السلام فقد اتخذت سمت القيادة لتلك الجماعة وذلك بفعل استثمارها للمزاج العام الذى حكم الحالة النفسية لأهل الكوفة وهو ما كشفت عنه الرواية الآتية التى رواها كلٌّ من:

- 1 __ أحمد بن محمد الهمداني المعروف بـ (ابن الفقيه الهمداني) (المتوفى سنة 340هـ).
- 2 __ أبى الفضل بن أبى طاهر المعروف بـ (ابن أبى طيفور المتوفى سنة 380هـ).
- 3 __ أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (المتوفى سنة 413هـ).

4 __ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة 460هـ).

5 __ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (المتوفى سنة 548هـ).

6 __ محمد بن الحسن بن محمد بن علي المعروف بـ (ابن حمدون المتوفى سنة 562هـ).

7 __ الشيخ محمد باقر المجلسي (المتوفى سنة 1111هـ).

8 __ الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني (المتوفى سنة 1130هـ).

9 __ السيد محسن الأمين (المتوفى سنة 1371هـ).

والرواية أخرجها هؤلاء الحفاظ مسندة تارة، ويحذف السند فهي عند الهمذاني محذوفة السند وقد نسبها إلى (جرير بن ميسير) وعند ابن طيفور بسندين، الأول على (حزام الأسدي، وقيل: حذيم) والثاني عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام؛ وأخرجها الشيخ المفيد عن (حذلم بن ستير)⁽¹⁾، فقال:

(قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين عليهما السلام بالنسوة من كربلاء، ومنهم الأجساد محيطون بهم، وقد خرج

1- وفي بعض النسخ (حذيم بن شريك) وعده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام؛ وفي البحار في حادثة نزول أهل البيت عليهم السلام قرب المدينة (بشير بن حذلم).

الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء أهل الكوفة يبكين وينتدبن، فسمعت على بن الحسين عليهما السلام وهو يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة، وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه:

«ألا إن هؤلاء النسوة يبكين، فمن قتلنا؟».

قال:

ورأيت زينب بنت علي عليهما السلام ولم أر خفرة قط أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام؛ وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات(1).

وهذه الفقرة الأخيرة من الرواية هي محل البحث — هنا — أى: التطور النفسى للحالة العاطفية لجماعة أهل الكوفة حينما أومأت العقيلة زينب عليها السلام بيدها إلى أهل الكوفة: أن اسكتوا فما كان من الحالة النفسية لديهم إلا الاستجابة السريعة لهذه الإشارة إلى الدرجة التى وصفت فيها الرواية الحالة النفسية لأهل الكوفة بألفاظ متعددة ومتقاربة، وهى:

1 — (فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات)(2).

2 — (فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس)(3).

1- الأمالى للشيخ المفيد: ص 321؛ الاحتجاج للطبرسى: ج 2، ص 29؛ البحار للمجلسى: ج 45، ص 163.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج 45، ص 163.

3- البلدان للهمذانى: ص 224.

3 __ (فلما سكنت الأنفاس وهدأت الأجراس)(1).

4 __ (فلما سكنت فورتهم وهدأت الأجراس)(2).

وهذه الألفاظ ترشد إلى صفة واحدة: وهى التطور النفسى لجماعة أهل الكوفة وإعمال الحالة العاطفية على سيادة الاستجابة لإشارة يد العقيلة زينب عليها السلام بالسكوت مما مكنها من استثمار هذه الحالة النفسية المتأججة بالعواطف والعاملة فى التواصل بين أهل الكوفة إلى الحد الذى سرى هذا التأثير فى أنهم أمسكوا بأعناق دوابهم، وخيلهم، وإبلهم كى لا تحرك رؤوسها؛ وذلك أنهم كانوا يضعون أجراساً فى أعناق الخيل والدواب لغرض إحداث مؤثرات صوتية تحدثها هذه الأجراس عند حركة الخيل أو الدواب لاسيما فى الحرب أو عند رجوع الجيش من المعارك وهم يسوقون الأسارى.

ومن هنا:

تكشف الرواية عن بلوغ الحالة العاطفية والنفسية ذروتها للانقياد إلى العقيلة زينب عليها السلام؛ ومن ثم كان خطابها كالمطرقة على الحديد المتجمر فى تغيير البنية الفكرية لمجتمع أهل الكوفة.

فقال عليها السلام:

(أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل(3) والغدر، والخذل!! ألا فلا رقأت

1- بلاغات النساء لابن طيفور: ص 24.

2- التذكرة الحمدونية: ج 6، ص 265.

3- الختل: الخداع.

العبرة (1) ولا- هدأت الزفرة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا(2)، تتخذون إيمانكم دخلا بينكم(3)، هل فيكم إلا الصلف(4) والعجب، والشنف(5) والكذب، وملق الإماء وغمز الأعداء(6)، أو كمرعى على دمنة(7)، أو كفضة على ملحودة(8)، ألا بس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون أحي؟! أجل والله فابكوا فإنكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيرا، واضحكوا قليلا، فقد أبلتكم بعارها، ومنيتهم بشنارها(9)، (8) ولن ترخصوا أبدا(10)، وأنى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حريكم، ومعاذ حزبيكم ومقر سلمكم، وأسى كلمكم(11)، ومفزع نازلتكم،

1- رقأت: جفت.

2- أى: حلته وأفسدته بعد إبرام.

3- أى: خيانة وخديعة.

4- الصلف: الذى يمتدح بما ليس عنده.

5- الشنف: البغض بغير حق.

6- الغمز: الطعن والعيب.

7- الدمنة: المزبلة.

8- الفضة: الجص؛ والملحودة: القبر.

9- الشنار: العار.

10- أى: لن تغسلوها.

11- أى: دواء جرحكم.

والمرجع إليه عند مقاتلتكم ومدرة حججكم(1)، ومناز محجتكم، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم، وساء ما تزررون ليوم بعثكم، فتعسا تعسا! ونكسا نكسا! لقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، ويؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، أتدرون ويلكم أى كبد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فريتم؟! وأى عهد نكثتم؟! وأى كريمة له أبرزتم؟! وأى حرمة له هتكتتم؟! وأى دم له سفكتتم؟! لقد جتتم شيئا إذا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا! لقد جتتم بها شوهاء صلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء خرقاء(2) كطلاع الأرض، أو ملأ السماء(3) أفعجبتتم أن تمطر السماء دما، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه عز وجل لا يحفضه البدار(4)، ولا يخشى عليه فوت الثار، كلا إن ربك لنا ولهم بالمرصاد)، ثم أنشأت تقول عليها السلام:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم

ماذا صنعتهم وأنتم آخر الأمم

بأهل بيتي وأولادى وتكرمتى

منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

1- المدرة: زعيم القوم ولسانهم المتكلم عنهم.

2- الشوهاء: القبيحة؛ والفقهاء إذا كانت ثناياها العليا إلى الخارج فلا تقع على السفلى؛ والخرقاء: الحمقاء.

3- طلاع الأرض: ملؤها.

4- يحفضه: يدفعه.

ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم

أن تخلفوني بسوء في ذوى رحم

إني لأخشى عليكم أن يحل بكم

مثل العذاب الذى أودى على أرم

ثم ولت عنهم.

قال حذيم: فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم فى أفواههم، فالتفت إلى شيخ فى جانبى يبكى وقد اخضلت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول: أبى وأمى كهولهم خير كهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم، ثم أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم

إذا عد نسل لا يبور ولا يخزى

فقال على بن الحسين عليه السلام:

«يا عمه اسكتى ففى الباقى من الماضى اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة، إن البكاء والحنين لا يردان من قد أباده الدهر».

فسكتت(1).

وهذه الخطبة اشتملت على مجموعة جديدة من الأدوات لتغيير البنية الفكرية وإصلاح المعطيات الثقافية التى أسهمت فى بناء الإنسان المسلم بعد

1- البلدان للهمداني: ص 224؛ بلاغات النساء لابن طيفور: ص 24؛ الأمالى للشيخ المفيد: ص 322؛ الأمالى للطوسى: ص 9؛ الاحتجاج للشيخ الطبرسى: ج 2، ص 29؛ التذكرة الحمدونية لابن حمدون: ج 6، ص 265؛ البحار للمجلسى: ج 45، ص 165؛ العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص 369؛ تاريخ الكوفة للبراقى: ص 294؛ أعيان الشيعة: ج 3، ص 484.

حالة الإفساد والتردى التي تعرض لها المجتمع فانعكست سلباً على سلوكه الفردى والاجتماعى.

وعليه:

فنحن أمام جملة جديدة من هذه الأدوات الإصلاحية للمجتمع المسلم والتي كانت تبعاً لتلك الأدوات التي مرّ ذكرها آنفاً فكانت بمثابة الأساس الذى يقام عليه صرح الإصلاح الذى خرج من أجله الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام وأكملته العقيلة زينب عليها السلام، فكانت هذه الأدوات كالاتى:

الأداة الخامسة: بث الروح فى الضمير الجمعى

إشارة

(الضمير الجمعى أو الوعى الجماعى هو مصطلح فى علم النفس ابتكر من قبل عالم الاجتماع الفرنسى إميل دوركايم (1858 — 1917) ليشير إلى المعتقدات والمواقف الأخلاقية المشتركة والتي تعمل كقوة للتوحيد داخل المجتمع ومن الممكن أن يعزى الضمير الجمعى كترجمة أفضل لفكرة دوركايم وذلك يكون جزئياً بسبب ارتباط كلمة (الضمير) مع كل من الفكرة الماركسية، والفرويدية ولكن أيضاً أن الضمير بالنسبة لدوركايم بشكل تمهيدى بارز هو جهاز مكون من الوجدان والتصوير وأنه ليس الجهاز العقلى وهو المفهوم الذى تتضمنه كلمة الوعى أو الضمير.

وقد استخدم دوركايم فى كتبه (تقسيم العمل فى المجمع — 1893م)،

و(قواعد الطريقة السوسولوجية __ 1895م)، (والانتحار __ 1897م)، إضافة إلى (النماذج الابتدائية من الحياة الدينية __ 1912م) وقد ناقش دوركايم في كتابه تقسيم العمل بأنه في المجتمعات التقليدية البدائية (تلك القائمة على العائلة والعشيرة أو العلاقات القبلية) يلعب الدين الطوطمي دوراً هاماً في توحيد الأفراد من خلال خلق ضمير مشترك.

((conscience collective) في الفرنسية الأصلية) ويكون محتوى الضمير الشخصي في مثل هذا النوع من المجتمعات مشتركاً بشكل كبير مع جميع الأفراد في نفس المجتمع وهذا يخلق تضامناً اجتماعياً من خلال الشبه المتبادل(1).

وهذه التعاريف للضمير الجمعي نجدها متجسدة في المجتمع الإسلامي في الكوفة آنذاك فقد أصبح الضمير الشخصي للمسلم عام (61هـ) مشتركاً بشكل كبير مع جميع الأفراد في نفس المجتمع وهو ما أشارت إليه العقيلة زينب عليها السلام في بيانها لصفات المجتمع فقالت:

(يا أهل الختل والغدر....) والتي سنمر عليها بمزيد من التحليل فهذه الصفات الكاشفة عن الضمير الشخصي للمسلم في مجتمع الكوفة آنذاك والتي أصبحت مشتركة بشكل كبير فيما بين الأفراد قد خلقت تضامناً اجتماعياً من خلال التشابه المتبادل كما أشار دوركايم.

والذي يظهر هذا التضامن الاجتماعي بشكل جلي وعملي في

1- ويكيديا __ الموسوعة الحرة __ الضمير الجمعي.

خروجهم إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام بل ظهر هذا التضامن في ارض كربلاء في اجتماعهم على إنزال أعلى درجات الأذى والضرر في آل رسول الله صلى الله وآله وسلم وكأنهم أبناء ملة أخرى وعقيدة معادية تضامن منتلحوها في قتالهم على أرض كربلاء.

ولذا:

احتاجت العقيلة زينب عليها السلام في معالجتها وإصلاحها للبنية الفكرية للمجتمع المسلم الابتداء ببث الروح في الضمير الشخصي ليسرى ذاك إلى الضمير الجمعي للمسلمين، الذي احتضنتهم أرض الكوفة من القبائل العربية وقد خرجوا متضامنين إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام وهي الأزد وزعيمها في الكوفة عبد الله بن زهير بن سليم، وهم أهل المدينة المنورة وعشيرة مذحج وأسد ورئيسها عبد الرحمن بن أبي ميسرة الحنفي، وعشيرة ربيعة وكندة وكان رئيسها قيس بن الأشعث، وتميم وهمدان ورئيسها الحر بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه وجميعهم اشتركوا في حرب الحسين عليه السلام إلا الحر الرياحي فضلاً عن تجمع خيل أهل الشام ومجاميع الحمير وهم أهل فارس الذين جيء بهم إلى أرض الكوفة عند فتح أرض فارس في معركة القادسية.

ومن ثم فنحن أمام تركيبة اجتماعية متنوعة من حيث الأعراق والعادات والثقافات النشئية وتسودها جميعاً شريعة واحدة وأن هذه التركيبة المكونة للنسيج الاجتماعي الكوفي قد سادها ضمير جمعي واحد جعل منها

أمة تمارس جميع أنواع الظلم والقهر؛ بل إن النظر إلى مجريات عاشوراء يلزم الناظر بأنه أمام مجتمع قد مات فيه الضمير الإنساني، فالرؤوس يطاف بها في أزقة الكوفة، وقد اختلفت فيها الأعمار فمنها من ابضت لحيته ورأسه، ومنها من كان شاباً، ومنها من كان صبيّاً، ومنها من كان رضيعاً، ومنها من كان عبداً مالياً لا حول له ولا قوة إلا الانقياد لسيدته ومولاه.

فضلاً عن أن الناس وقفت تنظر إلى تلك الرؤوس التي تقاسمتها القبائل العربية لتتقرب بها إلى والى الكوفة عبيد الله بن زياد فقد جاءت كندة بثلاثة عشر، وصاحبهم قيس بن الأشعث __ لعنه الله __ وجاءت هوازن باثني عشر، وصاحبهم شمر بن ذى الجوشن؛ وجاءت تميم بسبعة، وبنو أسد بستة عشر، ومدحج بسبعة، وجاء آخرون بباقي الرؤوس.

وهذه جميعاً كانت تسيّر بين النساء والأطفال وهم ينظرون إلى أبائهم وأهاليهم ويساقون بالسياط حينما يأخذهم النظر إلى تلك الرؤوس فلا يستطيعون من عظم المصيبة النظر إلى أقدامهم أين يضعونها فيعثرون فيه سيرهم.

وعليه:

فقد بات الضمير الجمعي لهذا المجتمع الإسلامى على سمة واحدة فما من منكر ولا من معترض، ولأنهم على ملة الإسلام ورسولهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لزم إحياء الضمير الفطرى حينما يعاد هذا الضمير إلى ثوابته النشوية والدينية.

ولذا:

ابتدأت كلامها بعد أن أومأت إلى الناس بالسكوت فهدأت الأنفاس وسكنت الأجراس، قالت:

(الحمد لله، والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار).

وهذا الابتداء فى الكلام له سماته الإصلاحية فى هدم الضمير الجمعى كى يستجيب لما سيأتى من أدوات ومعالجات تعيد النبض إلى ضمير الأمة بعد أن توقف عن الحركة.

ولكن ماذا أرادت العقيلة زينب بهذا القول الذى صدمت به الضمير الجمعى للمجتمع؟ وجوابه فيما يلى:

أولاً: تحريك نبض التوحيد

(الحمد لله) كلمة لها دلالاتها وتأثيرها فى تحريك الضمير فى الأمة المسلمة وهى:

ألف: إنها حينما ابتدأت بالحمد ليس لأنها اعتادت على ذلك ولكن لبيان أنها وإياهم على ملة واحدة وهى الإسلام ومن ثم متى أباح الإسلام هتك ستر المرأة المسلمة وسببها لاسيما وقد أسلفنا أن الكوفة قد تنوع فيها النسيج الاجتماعى العرقى ولعل فيهم من كان جاهلاً لدين هؤلاء السبايا أو الأسارى.

باء: الحمد لله على ما ابتلاها به من المصائب فهو وحده الذى لا يحمد

على مكروهه سواه؛ فضلاً عن التسليم لأمره والصبر على قضائه.

جيم: أنها ابتدأت بالتوحيد وختمت خطابتها بالتوحيد، كما سيمر بيانه لاحقاً وهذا يكشف عن أنها من أهل بيت التوحيد والدعاة إليه، فضلاً عن تأثير هذه المقامات في إحياء الضمير الجمعي والفردى للمسلم.

ثانياً: بنوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسبى بيد المسلمين

(والصلاة على أبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم)

هنا تختار العقيلة زينب عليها السلام في صلاتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التأكيد على بنوتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لبيان أن هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى تدعون الإيمان برسالته فعرفتكم بين الناس بأنكم مسلمون، هو (أبى).

فكيف لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يقدم على سبى بنت نبيه ويسلبها مقنعتها ويكشف رأسها ويضربها بالسياط ويقتل أخوتها وأولادها ويقيدها بالحبال ويقودها من بلد إلى بلد وهى على تلك الحالة.

فأى إسلام هذا الذى يدعون الإيمان به وحال أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تلك الصفة التى تناقلتها كتب التاريخ، ومن ثم فإنها أرادت بهذه البنوة إحياء الضمير الجمعي للمسلمين فهؤلاء الذين أقدمتم على قتلهم، هم أنفسهم من تصلون عليهم فى صلاتكم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأى سبات هذا للضمير الإسلامى؟!!

ثالثاً: تقتلون الطيبين الأخيار وتتولون الخبيثين الأشرار

بعد بيانها عليها السلام لبئوتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنها أبنه من تدعون الانتساب لدينه تنتقل العقيلة زينب في إحياء الضمير الجمعي للمجتمع الإسلامي إلى أنها من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن من صفاتهم الطيب والخير، أي: إنها اختارت من صفات الآل هاتين الصفتين لبيان أن من يستحق العقاب والقصاص والنكران هم المفسدون الخبيثون الأشرار أما من كانت صفاتهم الطيب والخير فلا يجازون بهذا الصنيع.

وعليه:

فأنتم يا مسلمون تقتلون الطيبين الأخيار وتتولون الخبيثين الأشرار وهذا خلاف الفطرة والضمير الإنساني.

إذن:

إعادة للضمير الجمعي شحنته الصاعقة كي يستجيب هذا الضمير لما ستتكلم به من نور يخطف الأبصار ويزيل الخبث عن تلك العقول التي دنسها جهل بني أمية وعقيدتهم المرتكزة على حرب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أصبح واقعاً اجتماعياً تسوده تلك الأفكار وثقافة البغض والعداء والقتل والدمار.

ومن ثم استطاعت بهذه الكلمات التي سبقها ما عليه من حال الأسر أن نعيد النبض إلى الضمير الإسلامي فأصبح الضمير الجمعي لهم إسلامياً بعد أن كان أمويّاً؛ ولذا: تنتقل في إصلاحها للبنية الفكرية إلى الأداة السادسة.

الأداة السادسة: التعزير النفسى

أولاً: التعزير لغة

قال ابن فارس فى بيان معنى التعزير:

(عزر) العين والزاء والراء كلمتان إحداهما التعظيم والنصر والكلمة الأخرى جنس من الضرب فالأولى النصر والتوقير كقوله تعالى:

{... وَتُعْزَّرُوهُ وَتُوقَّرُوهُ...} (1).

والأصل الآخر التعزير وهو الضرب دون الحد.

قال:

وليس بتعزير الأمير خزاية

على إذا ما كنت غير مريب (2)

وقال ابن منظور:

إن العزر فى اللغة الرد والمنع، وتأويل عزرت فلاناً أى أدبته إنما تأويله فعلت به ما يردعه عن القبيح (3).

ثانياً: التعزير عند الفقهاء

قال أبو الصلاح الحلبي الأمالى رحمه الله (المتوفى سنة 447هـ):

(التعزير: تأديب تعبداً لله سبحانه به لردع المعزر وغيره من المكلفين،

1- سورة الفتح، الآية: 9.

2- معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج 4، ص 311.

3- لسان العرب لابن منظور: ج 4، ص 562.

وهو مستحق للإخلال بكل واجب وإيثار كل قبيح لم يرد الشرع بتوظيف الحد عليه، وحكمه يلزم بإقرار مرتين أو شهادة عدلين(1).

وقال علي بن محمد القمي رحمه الله (المتوفى في القرن السابع للهجرة) في فصل التعزيرات:

(واعلم أن التعزير يجب بفعل القبيح أو الإخلال بالواجب الذي لم يرد للشرع بتوظيف حد عليه أو ورد بذلك فيه ولم يتكامل شروط إقامته فيعزر على مقدمات الزنا واللواط من النوم في إزار واحد والضم والتقييل إلى غير ذلك)(2).

وقال السيد أبو القاسم الخوئي رحمه الله في التعزير وما يثبت به موجه:

(من فعل محرماً أو ترك واجباً إلهياً عالمياً عامداً عزره الحاكم حسب ما يراه من المصلحة، ويثبت موجب التعزير بشهادة شاهدين وبالإقرار)(3).

وهذا البيان اللغوي والفقهي هما مقدمة لبيان مصطلح (التعزير النفسى) الذى استل من فعل العقيلة زينب عليها السلام فى عملية الإصلاح للبنية الفكرية للمسلم.

فهذه الجماعة التى اشتركت فى ارتكاب تلك الجرائم فى يوم عاشوراء بأمس الحاجة إلى التأديب والتعزير كى تمتنع هذه النفس من العودة إلى فعل

1- الكافى فى الفقه لأبى الصلاح الحلبى: ص 416.

2- جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق لعلى بن محمد القمى: ص 597.

3- مبانى تكملة المنهاج للسيد الخوئى: ج 1، ص 337.

القبیح وأی قبیح أعظم من قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلبه وسبى بناته وأخواته.

فهذه الأفعال الإجرامية التي امتزجت بها النفوس لا بد لها من موانع عديدة كى تستعيد رشدها من ناحية، ومن ناحية أعظم منع تقشى هذه الأمراض النفسية فى المجتمعات الإسلامية الأخرى أو الأجيال القادمة حينما لم تجد من يعزرها ويمنعها وينكر عليها هذه الأفعال.

ولذا:

نجدها عليها الصلاة والسلام أول ما ابتدأت كلامها الموجه إلى أهل الكوفة بعد أن عنتهم بقولها: (أما بعد يا أهل الكوفة) بالتعزير النفسى الموجه مع كون الخطبة كلها كانت بطابع التعزير النفسى إلا أن الناس حينما تجتمع لأمر مهم لاسيما فى هذه الحالة فإنها مشدودة إلى الكلمات الأولى، فقالت:

(يا أهل الختل والخدر؛ أتبيكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف (1) النطف (2)، والعجب والكذب والشنف (3)، وملق الإماء، وغمز الأعداء

1- الصلف، بفتح اللام مصدر بمعنى التملق، وبكسرهما: الذى يكثر مدح نفسه ولا خير عنده.

2- النطف: بفتح الطاء: التلطف بالريب والعار، وبكسرهما بمعنى النجس.

3- والشنف بفتح العدوابة والبغض، وبكسرهما المبغض.

كمرعى على دمنة، أو كقصة على ملحودة، ألا بنس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون).

والعقيلة زينب عليها السلام فى تعزيرها النفسى لأهل الكوفة أشارت إلى مجموعة من الأخلاق السيئة التى انتحلها هؤلاء فأصبحت أخلاقاً عامة يتصف بها المجتمع وذلك لوجود التشابه الكبير فيما بين أبناء المجتمع وهو ما أشرنا إليه سابقاً فى الضمير الجمعى.

إلا أنها عليها السلام أرادت مع هذا التعزير النفسى بيان تلك الصفات التى اتصف بها أهل الكوفة للتأكيد على أمرين:

1 _ إن هذه الأخلاق لو سرت فى أى مجتمع من المجتمعات فإنها ستقدم على ممارسات وأفعال أهل الكوفة وستثمر هذه الصفات خبثاً كما أثمرت أخلاق هذه الجماعة وهو المعنى الذى أشار إليه الإمام أبو عبد الله عليه السلام حينما خاطبهم فى يوم عاشوراء فقال عليه السلام:

«فكنتم أخبث ثمرة، شجر للناظر وأكلة للغاصب»⁽¹⁾.

ومن ثم يبدأ الإصلاح من خلال التخلص من هذه الأخلاق الذميمة والصفات الرذيلة وهو ما حددته عليها السلام فى تعزيرها النفسى لهم وذلك من خلال بيان انقسام هذه الرذائل الأخلاقية إلى صنفين، منها فردية، ومنها اجتماعية، وإن الإصلاح يبدأ بتغيير الأخلاق الفردية أولاً، وهذا ما سنعرض له فى الأداة السابعة.

1- تحف العقول للبحراني: ص 241؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 14، ص 219.

الأداة السابعة: تشخيص الرذائل التي أصابت أهل الكوفة إلى أخلاق فردية واجتماعية وأن الإصلاح يبدأ بالفرد قبل المجتمع

لقد قامت العقيلة زينب عليها السلام فى عملية إصلاح البنية الفكرية بتشخيص الأخلاق الرذيلة التي أصابت أهل الكوفة فكانت هذه الأخلاق فردية وأخرى اجتماعية، فالأخلاق الفردية حددتها عليها السلام بما يلى والذى ابتدأته بقولها: (ألا وهل فيكم إلا:

1. الصلف.

2. النطف.

3. العجب.

4. الكذب.

5. الشنف.

6. ملق الإمام.

7. غمز الأعداء.

وإن هذه الأخلاق الفردية حينما تكون ضمن أبناء المجتمع فإن هذا المجتمع ستكون أخلاقه العامة وصفاته المشهورة التي يعرف بها هي تلك التي ابتدأت خطابها بها فقالت:

(أما بعد: يا أهل الكوفة:

1. يا أهل الختل(1).

2. الخذل(2).

3. الغدر(3).

4. والمكر(4).

وهذه الأخلاق حينما تجتمع تجعل صورة المجتمع وحقيقته بالهيئة التي مثلتها لهم العقيلة زينب عليها السلام بمعنى يصبح المجتمع عند تفشى هذه الأمراض الأخلاقية كـ:

1. (مرعى على دمنة)؛ أي كالماشية التي تعيش على المزبلة، ومن ثم كيف سيحيا الجيل الجديد من الأبناء والأحفاد في هذا المجتمع.

2. (قصة على ملحودة)؛ أي يصبح المجتمع كالقبر فظاهرة مزين بالجص وداخله لحد يضم بدن الميت وما يجرى فيه من تحلل وتفسخ لهذا البدن؛ ومن ثم فإن هذا المجتمع ستموت قيمه حاله في ذاك حال القبر.

وعليه:

فإن هذه الصفات الأخلاقية التي ذكرتها العقيلة زينب عليها السلام والتي أصابت المسلمين في المجتمع الكوفي آنذاك أدت به إلى هذه الحالة المأساوية

1- مشير الأحزان لابن نما الحلبي: ص 66.

2- المصدر السابق.

3- الاحتجاج للطبرسي: ج 2، ص 30.

4- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج 3، ص 261.

وإن على القادة والمصلحين والتربويين والمبلغين الالتفات إلى إصلاح أخلاق الفرد فيه يصلح المجتمع وإن الإنسان حينما يغفل عن إصلاح نفسه ويسعى في تغيير أخلاقه سيقع فيما وقع فيه أهل الكوفة، وذلك أنه لن يستطيع أن يردع نفسه من التضامن مع هذه الجماعة أو تلك وهي تشابهه في الأخلاق والصفات وأنه سيقع فيما سيقعون فيه من أعمال إجرامية كما وقع جماعة المسلمين آنذاك بفعل هذه الأخلاق والصفات الرذيلة.

فكانت النتيجة كما بينت لهم عقيلة بنى هاشم بقولها:

(أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون).

الأداة الثامنة: تجمير المشاعر واصدام النفوس

بعد عرضها عليها السلام لأصناف الأخلاق التي جعلت من المجتمع الإسلامي في الكوفة بهذا المستوى المتردى وشعورهم بالندم الشديد والخسارة الفادحة لما كسبته أيديهم من ظلم لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم لم يجدوا عند ذلك غير البكاء والدموع وهي حالة انفعالية لا يمتلك الإنسان __ غالباً __ كتمانها.

ولقد أشار النص التاريخي إلى هذه الحالة الانفعالية الجماعية لدى أهل الكوفة وهو ما تناولته العقيلة في خطابها إليهم بعد أن قامت بالتعزير النفسى وتشخيص الأخلاق الرذيلة الفردية منها والجماعية.

فقال عليها السلام:

(أتبكون؟ أى والله، فابكوا كثيراً، وأضحكوا قليلاً، فلقد فزتم بعارها وشنارها، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبداً...).

وهذا المقطع من خطابها يكشف عن حالة التفاعل مع كلماتها وتأثرهم بها إلى درجة البكاء مما يعنى نجاح خطابها فى تغلغله فى نفوسهم مما دفعهم إلى البكاء ومن ثم تنتقل فى إصلاحها لهذه النفوس إلى تجمير المشاعر كى تستقبل الطَّرْق الذى يكسر صداً القلوب فيجلوها ولا شك أن هذا النهج لا يعالج أهل الحدث فقط وإنما على مر الوقت لمن أراد أن ينجو بنفسه من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكوفة.

ولذا:

فقد أقدموا على فعل هو عار عليهم على مرّ الدهر، ولن يمحوه شىء، أو يطهره شىء، وذلك أن الإقدام على قتل آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عار يلحق الفاعل على كرور الليالى والأيام فضلاً عن عذاب الله الشديد.

ومن ثم:

كى لا يقع غيرهم من المسلمين فيما وقع فيه أهل الكوفة فى يوم عاشوراء كان خطابها الإصلاحى للأمة بهذه الأدوات التى غيرت من البنية الفكرية لديهم حينما أقدموا على هذا الفعل مما يعنى تحصين الأبناء والأجيال القادمة من هذه الأفكار المريضة والهدامة.

ولعل الوقوف اليوم لدراسة الحركات التكفيرية والإرهابية ليغنى الباحث

والقارئ اللبيب عن البحث عن الشواهد والعوامل التي جعلت أهل الكوفة يقدمون على فعلتهم؛ فهذا النهج الذي ظهر في عاشوراء لقتال الحسين وأهل بيته عليهم السلام أينما تجدد زماناً ومكاناً سيثمر نفس هذه النتائج التي لحقت بالمجتمع الكوفي آنذاك.

ومن هنا:

كان حرص العقيلة زينب عليها السلام في خطابها الديني لتغيير البنية الفكرية للمسلم هو تجنب الأمة من الولايات التي ستلحق بها كما لحقت بآل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دولة بني أمية وأشياعهم.

الأداة التاسعة: تعظيم حرمة أهل البيت عليهم السلام وبيان مقامهم عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

لعل من أهم الأدوات التي صدعت المجتمع الإسلامي بعد مرور خمسين سنة على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو التأسيس لانتهاك حرمة أهل البيت عليهم السلام حينما تم جمع الحطب عند باب فاطمة عليها السلام وفي الدار ولداها الحسن والحسين وبعلمها على بن أبي طالب عليهم السلام وإضرار النار فيه ومن ثم الهجوم على الدار لقتل من فيه وقد شاء الله تعالى غير ذلك فأنجى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (1).

إلا أن هذا الفعل أسس لهتك حرمة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

1- للمزيد من الاطلاع، ينظر: باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة للمؤلف.

وأعطى الذريعة لكثير من أصحاب القلوب المريضة والتي خالط النفاق أبدانهم فى التعرض لانتهاك حرمة آل البيت عليهم السلام؛ وما عاشوراء إلا صورة من صور الهجوم على دار على وفاطمة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا:

انعطفت العقيلة زينب عليها السلام على بيان حرمة أهل البيت عليهم السلام عند الله تعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لو كانت هذه الحرمة معظمة لدى المسلمين ومصانة بما أمر الله به لما تجرأ هؤلاء على الله تعالى فى انتهاكها وتعدى حدوده فيها.

ولقد ابتدأت العقيلة زينب عليها السلام ببيان حرمة سيد الشهداء عليه السلام عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك أنه صاحب الظلّامة والمخصوص بهذا الحدث الذى تلطخت أيديهم بدمه؛ وهذا أوجع للقلوب وأمضى ألماً للنفوس فيما تستشعر عظم جريمتها وما كسبت يداها.

فقال:

(وأنى ترحزون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم، ومقر سلمكم، وأسى كلمكم، ومفزع نازلتكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم، ومدبر حججكم، ومنار محجبتكم، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم).

وقد جمعت سلام الله عليها هذه الصفات في الإمام الحسين عليه السلام بين مقام النبوة ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين صفات الإمامة ومفاصل دورها وعلاقتها بالناس جميعاً، فقالت عليها السلام:

1. وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة.

2. ومعدن الرسالة.

3. وسيد شباب أهل الجنة.

وهذه الصفات الثلاثة هي تخص النبوة والرسالة بالمعنى العام، وذلك أن ميراث النبوة من آدم عليه السلام إلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هو عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولذا قالت:

(سليل خاتم النبوة)، و(معدن الرسالة)، ولم تقل النبي أو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنما النبوة، والرسالة، وبذاك أرادت ما ينضوى تحت هذه الصفة من منزلة وشأنية وشرائع وكتب وصحائف وعلوم وغير ذلك مما ارتبط بالنبوة والرسالة فكان بهذا الميراث النبوي والرسالي سيد شباب أهل الجنة فهو سليل النبوة ومعدن الرسالة.

ثم تنتقل عليها الصلاة والسلام إلى صفات الإمامة وما يناط بالإمام ودوره في حفظ البلاد والعباد من كل سوء وضلال، فقالت عليها السلام:

1. وملاذ حربكم.

2. ومعاذ حزبكم.

3. ومقر سلمكم.

4. وأسى كلمكم.

5. ومفزع نازلتكم.

6. والمرجع إليه عند مقاتلتكم.

7. ومدرة حججكم.

8. ومنار محبتكم.

وهذه الصفات هي ثمار وجود الإمام المعصوم عليه السلام على الناس، فمن تخلى عنه إنما يتخلى عن هذه الرحمة الإلهية وما يضر إلا نفسه:

{وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا} (1).

وعليه:

فقد سعت في عملية الإصلاح للبنية الفكرية لدى المجتمع الإسلامى فى الإمامة بإرجاعها إلى المقام الإلهى أولاً، ومقام النبوة ثانياً، ومن ثم الانتقال إلى بيان أن مشروع الإمامة هو الذى اختاره الله وأمر به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما مشروع الصحابة الذى اختاره أهل السقيفة فى يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى دأب السلف — ممن تصدوا للجلوس فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — على تقديمه كمشروع بديل عن الإمامة ومنحه بعض صفات الإمامة التى تم حصرها فى الفتيا وإحداث البدع ضمن قاعدة الاجتهاد فمن أخطأ فله أجر واحد كما مر بيانه سابقاً، فهذا

المشروع هو الذى جر الويلات على الأمة وهو الذى قادها إلى الهاوية.

ولذلك:

بينت عليها السلام أن الإمام يمثل المرحلة النهائية من الرحمة الإلهية التى ابتدأها الله عز وجل فى عباده حينما خاطب الملائكة {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (1) فالغاية فى هذا الجعل رحمة العباد والبلاد، والتي جمعت فى المصطفى خاتم النبوة والرسالة صلى الله عليه وآله وسلم، فقال سبحانه:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (2).

فكانت الإمامة هى المرحلة النهائية من هذه الرحمة الإلهية التى ابتدأت بجعل الخليفة فى الحوار الإلهى مع الملائكة، وخلق آدم ونزوله على الأرض، ثم انتقال هذه الرحمة من نبي إلى نبي ومن رسول إلى رسول، حتى ختمت بمنزلة الإمامة.

فكان من ثمارها أى الإمامة ما ذكرته العقيلة زينب عليها السلام وهى تريد بذاك إصلاح البنية الفكرية للمجتمع المسلم الذى ثقفه أرباب السلطة على مشروع الصحبة كى يعطوا مجوزاً لدى الناس يستدرون به عواطفهم الإيمانية وحبهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أخذ المسلم يقدر الصحابي أكثر مما يقدر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يشعر فيقبل المعيب على نبيه ولا يقبله على خليفة المسلمين والشواهد على ذلك كثيرة لا يسعنا إيرادها ولعل الرجوع إلى أحاديث البخارى وغيره فى تبول النبي صلى

1- سورة البقرة، الآية: 30.

2- سورة الأنبياء، الآية: 107.

الله عليه وآله وسلم واقفاً، أو حملة زوجته عائشة على ظهره لترى رقصة الأفارقة، أو دخول عمر بن الخطاب عليه وعنده نساء يضربن بالدف فلما رأى عمر بن الخطاب هربن واستنكاره لهذه الحالة لأنه وجد طنبوراً ودفاً يضرب في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً وتبسمه وقوله لقد هرب الشيطان عندما رأى عمر؛ أو استماع عائشة إلى جاريتين تغنيان واستنكار أبي بكر لفعالها وتجويز النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعياذ بالله __ ذلك فيكون القينات، أى المغنيات فى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (1).

وغير ذلك من الترهات التى أريد منها تقديم مشروع بديل عن الإمامة وصفاتها كى يستسيغ الناس المخالفات التى تصدر من بعض الصحابة وتحت غطاء شرعى.

إذن:

ذكرها عليها السلام لهذه الصفات المتعلقة بشخص الإمام الحسين عليه السلام لكونه إماماً منصوصاً عليه من الله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه على أمير المؤمنين عليه السلام؛ يدل على أن الإمامة هى الوجه الحقيقى للإسلام وليست مشروع الخلافة الذى جاء بوحى السقيفة لا بوحى من الله تعالى ولا رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

1- صحيح البخارى، كتاب العيدين، باب: سنة العيدين: ج2، ص21.

الأداة العاشرة: إظهار عقوبة قتل العترة النبوية في الدنيا والآخرة

بعد بيانها عليها الصلاة والسلام لمشروع الإمامة وأنه المختار من الله تعالى والمبين له رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن مشروع الخلافة هو من صناعة أهل السقيفة مما أدى بهم إلى هذه الجرأة على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقاموا بقتل إمامهم الشرعى المرتبط بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فإن هذه الجريمة قد ترتب عليها عقوبات عدة منها فى الدنيا ومنها فى الآخرة.

ولا شك أنها عليها السلام حينما بينت هذه العقوبات إنما أرادت منع وقوع هذه الجريمة فى الأجيال اللاحقة فيتحقق الإصلاح فى البنية الفكرية كى يعلم الناس والمسلمون أى حرمة قد انتهكت على يد هؤلاء وأن التعرض لهذه المقدسات الإلهية لها تبعات قاسية وهو ما بينه القرآن الكريم فى معرض بيانه للأمم السابقة وما لحق الأمم حينما أقدمت على هتك الحرمات فكانت هذه العقوبات متفاوتة بحسب طبيعة الجرم الذى أوقعته هذه الأمة أو تلك.

ولذا: نجد هنا العقوبات المتفاوتة فى الضرر وذلك طبقاً لنوع الجرم وعظم الحرمة المنتهكة فكانت كالاتى:

1. إن قوم نوح قد أبادهم الله تعالى بالطوفان.
2. وإن قوم صالح أهلكهم الله تعالى بالصحية.
3. وإن قوم لوط أهلكهم الله بالخسف.
4. وإن اليهود عاقبهم الله تعالى بالمسخ وسلط عليهم القمل والجراد.

وغير ذلك من آثار الأمم التي ذكرها الله تعالى في محكم التنزيل؛ وبينها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه لأمتة وحذرهم من اتباع سنن الذين كانوا من قبلهم.

ومن هنا:

كان مشروع العقيلة زينب الإصلاحى للبنية الفكرية لأهل الكوفة ومن يسمع قولها ويحدث به أن لا يقع فيما وقع فيه هؤلاء القوم، أى: أرادت بذلك تحقيق الهدف الذى أراده القرآن الكريم فى ذكره لما جرى فى الأمم السابقة.

فقال عليها الصلاة والسلام:

(فتعساً تعساً ونكساً نكساً! لقد خاب السعى، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة ويؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة).

وهذه العقوبات كانت على نطاق الدنيا فكانت:

1. التعاسة ما حييتم.
2. التنكيس للرؤوس والفشل.
3. الخيبة.
4. الخسران، فلن ينالوا من الدنيا شيئاً.
5. غضب الله تعالى.

6. ضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ولا شك أن عذاب الآخرة أشد وأخزى، ولذا تنتقل عليها السلام إلى بيان التلازم فيما بين حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة عترته وأن هتك هذه الحرمة عند الله كجريمة الشرك وهذا ما سنعرض له في الأداة الآتية.

الأداة الحادية عشرة: حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرمة عترته وإن آتار هتكها عند الله تعالى كأثار جريمة الشرك

إن من أهم المسائل التي ركزت عليها العقيلة زينب عليها السلام والتي أدت بالأمة إلى هذا الانحدار هو الفصل بين حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين عترته أهل بيته وهم الذين جللهم بالكساء اليماني وفيهم نزلت آية التطهير، وآية المودة، وبهم خرج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لمباهلة نصارى نجران كما هو بين في آية المباهلة.

ولذلك: تبين العقيلة زينب عليها السلام أن حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حرمة عترته عليهم السلام وأن التعرض لانتهاك هذه الحرمة هو عند الله تعالى كجريمة الشرك والسبب في ذلك الحكم، هو:

أن التوحيد لا يمكن أن يستقيم ما لم يعتقد الإنسان بالنبوة فبقدر معرفته الصحيحة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحقه الذي أوجبه الله تعالى على الناس كانت هذه المعرفة موصلة إلى تصحيح الاعتقاد بالله تعالى.

ولهذا التلازم بين التوحيد والنبوة والذي ظهر جلياً في الشهادتين اللتين هما مطهرتان للإنسان من الرجس إلى الإيمان فإن حرمة التوحيد والنبوة متلازمتان كذا في معرفة العترة النبوية فمن عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حق معرفته وآمن به وأنه لا ينطق عن الهوى، عند ذلك لا شك أنه سيعلم أن حرمة العترة في حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه:

أرادت العقيلة زينب في تتابع أدوات العملية الإصلاحية للبنية الفكرية — كما يفعل الطبيب الجراح في إزالة الأورام الخبيثة بأدواته الجراحية، أى: تطهير الفكر الذى أضرت المعطيات التى تمخضت عن سقيفة بنى ساعدة التى جاءت بعقيدة حرمة الخلافة والإمارة بديلاً عن عقيدة:

{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (1).

فكان ما كان من الانتهاكات لهذه الحدود الإلهية، التى لها من الآثار السلبية على مصير الإنسان فى الدنيا والآخرة.

فأما مصيرها فى الدنيا فقد أظهرته العقيلة زينب عليها السلام كما مرّ علينا آنفاً فى الأداة السابقة وأما مصيرها فى الآخرة فقد أظهرته العقيلة زينب بقولها عليها السلام:

(ويلكم يا أهل الكوفة: أتدرون أى كبد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فريتم؟ وأى دم سفكتم؟ وأى حرمة له أضعتم؟ لقد جئتم

شيئاً إداً، تكاد السماوات ينفطرن منه، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ولقد أتيتم بها خرقاء شهباء كطلاع الأرض والسما؛ أفعجبتكم أن مطرت السماء دماً؛ فلعذاب الآخرة أخزى ولا تنصرون(1).

وخطابها في هذه الفقرات ركز على أمور، وهي:

1 __ الملازمة بين عقيدة التوحيد والنبوة.

2 __ إن حرمة النبوة في حرمة العترة فهما متلازمتان لا ينفكان ولذا قالت:

(أتدرون أي كبد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أصبتكم).

وهذه الجرائم الثلاثة هي في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس كما كنتم تظنون وما عليه لفقنكم الأعراب والمنافقون، ومن ثم فإن هذه الحرمة النبوية هي حرمة الله تعالى ولذا فقد قرن الله تعالى حرمة بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جملة من الآيات الكريمة لاسيما فيما يتعلق بأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحره وشقاقه، فقال عز وجل:

أ: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا } (2).

ب: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ

1- البلدان للهمداني: ص 224؛ بلاغات النساء لابن طيفور: ص 24؛ الأمالي للمفيد: 323.

2- سورة الأحزاب، الآية: 57.

فَسَ إِذَا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَدِّ لِبُؤَا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {1}.

ج: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} {2}.

3 __ ثم إنها بعد بيان هذه الملازمة بين حرمة الله تعالى وحرمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والملازمة بين حرمة صلى الله عليه وآله وسلم وبين حرمة عترته؛ فإنها تنتقل إلى بيان في غاية الخطورة، وهو: أن جريمة هتك حرمة العترة كجريمة الشرك عند الله تعالى ومن ثم فإن من يقدم على هتك هذه الحرمة فإنه مخلد في النار وإن جريمته لها من الآثار الكونية آثار الشرك، وهو ما أظهرته في قولها:

(لقد جئتم شيئاً إدا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا).

وهذا الوصف والحالة التي تصيب السماوات والأرض عرضها القرآن الكريم في معرض بيانه لآثار دعوى الشرك لاسيما ادعاؤهم أن لله تعالى __ والعياذ بالله __ ولدا، فقال عز وجل:

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ

1- سورة المائدة، الآية: 33.

2- سورة النساء، الآية: 115.

يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضَ وَتَجِرُّ الْجِبَالَ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًّا {1}.

ومن ثم فإن هذه الجريمة لا بد لها من عقوبة تتناسب مع حجمها وآثارها الكونية، مما يتطلب إرجاع الأذهان والفكر إلى الأساس الذي تبنى عليه عقيدة المسلم وهو التوحيد.

فهؤلاء الذين خرجوا لقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاك حرمة الله والتعدي على حدوده إنما وقعوا في ذلك بفعل بناء عقيدة التوحيد الفاسدة والتي جاء بها دعاة مشروع السقيفة الذين تركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجى على فراشه لم يبرد بدنه بعد وهم يتصارعون في الوصول إلى كرسى السلطة والإمارة(2).

ولذا: أرادت العقيلة زينب عليها السلام بعد هذا التدرج في إصلاح البنية الفكرية وإعطاء الأسباب الحقيقية لهذا الانحراف في المجتمع المسلم أن تضع يدي المسلم على الجرح وهو العقيدة في التوحيد ولذلك قالت:

(فلا يستخفنكم المهمل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف عليه فوت الثار، كلا، إن ربك بالمرصاد)(3).

1- سورة مريم، الآيات: 88 _ 91.

2- للمزيد من الاطلاع، ينظر كتاب: وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته بين اختلاف أصحابه واستملاك أزواجه للمؤلف.

3- الأمالي للمفيد: ص 323؛ والحفز: الحث والإعجال، والبدار: المبادرة أي لا يحتاج سبحانه إلى الحث والإعجال في المبادرة.

وهنا جاءت بمرتكزات العقيدة فى التوحيد، وهى:

1 __ بيان صفات الله الإفعالية.

2 __ إنه عادل، والعدل أصل، حاله حال التوحيد فى العقيدة الإسلامية.

3 __ قد عرض القرآن الكريم فى بيانه لسيرة الأمم السابقة وما نزل فيها من عقوبات عند تعديها للحدود وهتك الحرمات إن عاجلها فى العقوبة وذلك بحسب الحكمة الإلهية فى إصلاح العباد.

إلا أنه حينما يؤخر العقوبة فليس معنى ذلك أن هذا التعدى للحدود والانتهاكات كاشف عن فقدان حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة عترته، كلا وإنما لحكمة إلهية خاصة.

ومن ثم فإنه إن لم يعجل عليهم العقوبة بما فعلوا فإنه سبحانه لا يحتاج إلى الحث والإعجال لكى يبادر المجرمين الظالمين بالعقوبة.

وعليه:

فلا يستخفنكم هذا الإمهال الذى أمهلكم الله به، فلم يعجل عليكم العقوبة حينما فعلتم هذه الجرائم.

4 __ إن صاحب الثأر لهذه الدماء المقدسة هو الله تعالى وذلك إنها مثال شريعة الله تعالى، والله هو من يأخذ بثأر شريعته التى هتكت فهو بالمرصاد.

وبناء على ما تقدم:

فقد حققت عليها الصلاة والسلام بهذا الخطاب الدينى التجديدى للبنية الفكرية ما لم يحققه مصلح آخر، وذلك بفضل تلك الدماء المقدسة التى طهرت العقول من رجس الجاهلية وثقافة الأعراب والنفاق الذين عمدوا إلى زرعها فى أرض العقيدة الإسلامية فكانت هذه النتائج المروعة والمفجعة والتى لم تحدث فى أمة من الأمم السابقة، وذلك بفعل هذه الاتجاهات والقيم التى أفرزتها أدوات سقيفة بنى ساعدة خلال نصف قرن من عمر الإسلام، مما تطلب كل هذه التضحيات لتغيير البنية الفكرية والاتجاهات نحو العترة النبوية، وهو ما سنتناوله فى المسألة القادمة.

المسألة الثالثة: كيف استطاعت العقيلة زينب عليه السلام بخطابها الدينى تغيير الاتجاهات والقيم فى المجتمع الكوفى؟

إشارة

يركز علماء النفس الاجتماعى فى دراساتهم وأبحاثهم على أهمية الاتجاهات فى كونها دوافع للسلوك، ولا شك أن الدافع النفسى مرهون بالمشاعر الانفعالية والتقييمات الإيجابية أو السلبية ومن ثم يتحدد الاتجاه نحو هذه المعايير.

وحيث أن التنشئة الاجتماعية وما يرد على الإنسان من ثقافة ومعطيات فكرية تُكوّن لديه اتجاهات وعقيدة نحو أمرٍ ما؛ ومن ثم فإن الإحاطة بمعرفة الاتجاهات النفسية تمكن الباحث من تحديد السبل فى تغيير سلوك الإنسان وتبين له أهميتها فى تحقيق الأهداف.

(والاتجاهات عموماً تضاف على حياة الفرد اليومية معنى ودلالة حين يتفق سلوكه مع اتجاهاته ويشجع هذا السلوك تلك الاتجاهات.

ولذلك تعمل اتجاهاتنا النفسية على إشباع كثير من الدوافع والحاجات النفسية والاجتماعية، ومن هذه الحاجات الحاجة إلى التقدير الاجتماعي، والقبول الاجتماعي، والحاجة إلى الانتماء إلى جماعة معينة، والحاجة إلى المشاركة الوجدانية.

وهنا يتقبل الفرد قيم الجماعة ومعاييرها، والفرد يرغب دائماً في الانتماء إلى جماعة حتى المجرمين يميلون إلى الانتماء إلى جماعات إجرامية، ويلزم أن يقبل الفرد اتجاهات الجماعة التي يريد الانتماء إليها بل إنه يكتسب نفس الألفاظ والشعارات التي تستخدمها الجماعة، فالحاجة إلى الانتماء من الحاجات الأساسية في الإنسان.

كذلك تعمل اتجاهاتنا على تسهيل استجاباتنا في المواقف التي لدينا اتجاهات خاصة بها، فلا ينحث على سلوك جديد في كل مرة نجابه فيها هذا الموقف، وكذلك تساعدنا الاتجاهات على تفسير ما تمر به من مواقف وخبرات وعلى إعطاء هذه المواقف معنى ودلالة.

وتفيد معرفة الاتجاهات النفسية في كثير من الميادين، ففي الميدان التربوي تفيد الإدارة التعليمية من معرفة اتجاهات التلاميذ نحو المواد الدراسية المختلفة ونحوز ملائمتهم وكتبهم ومدرسيهم ونظم التعليم وأنواعه وطرق التدريس.

وفي الميدان الصناعي تفيد معرفة اتجاهات العمال نحو عملهم ونظم

الإدارة فى تحقيق سعادة العمال وتكيفهم وفى زيادة الإنتاج، رفع مستواه وتقليل حوادث الإصابة وكذلك تقليل من نسب الإصابة وكذلك تقليل من نسب تغييب العمال وتمارضهم وتمردهم.

وللاتجاهات أهمية بالغة فى حياة الفرد، فهى تساعد على التكيف مع الحياة الواقعية، كما تساعد على التكيف الاجتماعى، وذلك عن طريق قبول الفرد للاتجاهات التى تعتقها الجماعة فيشاركهم فيها ومن يشعر بالتجانس معهم(1).

أولاً: مفهوم الاتجاه وتعريفه

اختلف علماء النفس حول تعريف مصطلح الاتجاه تعريفاً جامعاً مانعاً وذلك (أن مفهوم الاتجاه من أكثر المفاهيم المستخدمة فى العلوم الإنسانية والاجتماعية غموضاً، ولقد تعددت التعريفات والاستخدامات فى ميادين شتى حتى أنه لا- يوجد اتفاق عام على تعريف الاتجاه(2).

إلا أن الذى يهون الأمر بنسبة ما هو أن المشتغلين بالعلوم النفسية قد توصلوا إلى شبه اتفاق حول تعريف هذا المصطلح، وهو:

(أن الاتجاه هو ميل مؤيد أو مناهض إزاء موضوع من الموضوعات المعينة كالأشخاص والفئات الاجتماعية والأشياء المادية)(3).

1- علم النفس الاجتماعى والحياة المعاصرة، للدكتور أحمد محمد مبارك الكندرى: ص 289 _ 290.

2- المدخل إلى علم النفس الاجتماعى لعكاشة: ص 119.

3- المصدر السابق.

ولعل الرجوع إلى بعض التعريفات حول هذا المصطلح يعطى صورة حول حقيقة مفهومة وهي كالآتي:

1 __ يعرف ثرستون (Thurstone) الاتجاه بأنه درجة الشعور الايجابي أو السلبي المرتبط ببعض الموضوعات السيكولوجية:

ويقصد ثرستون بالموضوعات السيكولوجية أى رمز أو نداء أو قضية أو شخص أو مؤسسة، أو مثال، أو فكرة، وغير ذلك مما يختلف حوله الناس، فالاتجاه لا يكون إزاء الحقائق الثابتة المقررة، وإنما هو دائماً تجاه الموضوعات التى يمكن أن تكون موضوعات جدلية.

2 __ أما نيوكوب فيؤكد عنصر الدافع فى مفهوم الاتجاه، ويرى أن الاتجاه حالة من الاستعداد تثير الدافع، ومن ثم فإن اتجاه الفرد نحو شىء ما يصبح عبارة عن استعداد للعمل والادراك والتفكير والشعور أى الاستعداد للاستجابة أياً كان نوعها، ولكن الاتجاه ليس هو السلوك ذاته أو الاستجابة ذاتها ولكنه الدافع الذى يكمن وراء السلوك.

ويعرفه بوجاردس (E.S.Bogardus) بأنه الميل الذى ينحو بالسلوك قريباً من بعض عوامل البيئة أو بعيداً عنها، ويضفى عليها معايير موجبة أو سالبة تبعاً لانجذابه إليها أو نفوره منها، فهو بذلك يؤكد البيئة الخارجية.

ويعرفه توماس (W.I.Thomas) وزنانكى (Znanieki) بأنه الموقف النفسى للفرد حيال إحدى القيم والمعايير، فموقف المواطن الصالح من السرقة فى

مجتمع يعاقب السارق ويدعو إلى الأمانة، اتجاه نفسى تحدده المعايير الاجتماعية القائمة.

ويشير باكمان (Backman) إلى أن الاتجاه يتضمن تنظيمات محددة في الفرد تشمل مشاعره وأفكاره ونزعاته التي تجعله يتصرف تجاه بعض مظاهر بيئته.

ويعرف جيلفورد (Guilford) الاتجاه بأنه: استعداد خاص يكثر شيوعه في الأفراد، وهو مكتسب بدرجات متفاوتة ويدفعهم إلى الاستجابة لأشياء ومواقف معينة بطرق مختلفة يمكن أن يقال عنها أنها في صالحها أو ضدها.

ويعرف روكيش (Rokeach) الاتجاه النفسى بأنه تنظيم مكتسب له صفة الاستمرار النسبى للمعتقدات التي يعتقدها الفرد نحو موضوع أو موقف، ويهيئه للاستجابة باستجابة لها الأفضلية عنده.

ويعرف محمود السيد أبو النيل الاتجاه بأنه: استعداد نفسى تظهر محصلته في وجهة نظر الشخص حول موضوع من الموضوعات سواء كان اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً، أو حول قيمة من القيم كالقيمة الدينية أو الجمالية أو النظرية أو الاجتماعية، أو حول جماعة من الجماعات كجماعة النادى أو المدرسة أو المصنع، ويعبر عن هذا الاتجاه تعبيراً لفظياً بالموافقة عليه أو عدم الموافقة أو المحايدة، ويمكن قياس الاتجاه بإعطاء درجة للموافقة والمعارضة والمحايدة.

ويعرف أحمد زكى صالح سنة 1981م، الاتجاه بأنه استجابة عامة عند

الفرد إزاء موضوع نفسى معين، حيث الاتجاه يتضمن حالة تأهب واستعداد لدى صاحبه تجعله يستجيب بطريقة معينة سريعة دون تفكير أو تردد إزاء موضوع معين.

ويعرف ماهر عمر سنة 1988م الاتجاه النفسى بأنه استجابة عامة، عقلية ونفسية، عند الفرد نحو مشيرات محددة مرتبطة بموضوع معين فى البيئة التى يعيش فيها، تنظيمها وتوجيهها خبراته السابقة، بما يكفل تقويمها وتعميمها على سلوكياته الكلية فى المواقف والظروف المتشابهة المرتبطة بموضوع الاتجاه، مما يجعله يتصل بأنه اتجاه إيجابى أو اتجاه سلبى.

أما البورت (Allport) فيعرف الاتجاه بأنه إحدى حالات التهيو والتأهب العقلى العصبى التى تنظمها الخبرة، وما يكاد يثبت الاتجاه حتى يمضى مؤثراً وموجهاً لاستجابات الفرد للأشياء والمواقف المختلفة، فهو إذن ديناميكى عام.

والتأهب قد يكون موقوتاً لأجل قريب، أو ممتداً لأمد بعيد، فأما القريب العابر فينبغ من تفاعل الفرد مع موقفه المحيط به فى لحظته الراهنة، فالجائع يقبل على الخبز، ثم يدفع ما بقى منه بعيداً عنه عندما يشبع وبذلك ينتهى تأهبه عند إشباع رغبته.

وأما التأهب الطويل الأمد، فهو أكثر ثباتاً واستقراراً، فالشخص الذى يحب لوناً خاصاً من ألوان الطعام لا يرى غضاضة فى التحدث عنه بعد أن يشبع نهمه منه، واتجاه الفرد نحو صديق عزيز لديه لا يتغير أو يتأثر كثيراً بالمضايقات الوقتية العابرة، والنباتيون يعزفون عن أكل اللحم فيسفرون

بذلك عن اتجاه ما، والمسلم يمتنع عن أكل لحم الخنزير خضوعاً لاتجاه تفرضه عليه المعايير والمحرمات الدينية.

فالالاتجاه بهذا المعنى تأهب مستقر، يمتد به ثباته لأمد طويل، إذن فليس كل تأهب اتجاهًا، ولكن كل اتجاه ينطوي على تأهب.

وبقاء الاتجاه واستقراره في حياة الفرد، لا يتعارض منطقياً واستحالته وتطوره، ذلك بأن الاتجاه يتكون نتيجة لتأثر الفرد بمشيرات مختلفة تنبعث من اتصاله بالبيئة المادية والاجتماعية، ومعايير الثقافة، وهكذا يتغير الاتجاه تبعاً لتغير صلته الديناميكية بتلك الأشياء(1).

وبناءً على هذه التعريفات للاتجاه وظهور مفهومه نخلص إلى حقيقة وهي:

إن خطاب العقيلة زينب عليها السلام قد تمكن ومن خلال تلك الأدوات التي اشتمل عليها هذا الخطاب من تغيير البنية الفكرية وإصلاحها وتغيير اتجاهها من الميل والمآزرة لبني أمية ومشروع السقيفة إلى الإدراك بأن الإسلام الحقيقي محصور في الثقلين كتاب الله وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ومن ثم فإنهم قد خدعوا وغرر بهم وأضاعوا دينهم ودنياهم وآخرتهم حينما قدموا على هذه الجريمة والمصيبة مما عظم لديهم الشعور بالبغض لآل بني أمية ومن جاء بهم إلى كرسى الخلافة والإمارة، مما دفعهم إلى السير باتجاهين:

1- علم النفس الاجتماعي للكندري: ص 293 __ 296.

1 __ الانتقام ممن غرر بهم وساقهم إلى هذه التهلكة والخسارة العظيمة.

2 __ إظهار كل ما من شأنه أن يحقق لهم التوبة وإحراز رضا العترة النبوية فيرضاهم رضا الله تعالى.

ومن ثم يتحقق لدى العقيلة زينب عليها السلام ومن قبلها سيد الشهداء عليه السلام في مشروعه الإصلاحى لأمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما أراد، ومما يدل على تحقيق هذه النتيجة هو مجموعة من الحوادث التي بدأت ككرة الثلج تتجه نحو الإصلاح والانقلاب على الظلم وأشياعه؛ ولأن الفساد كان كبيراً، ولأن الخراب كان عظيماً، فقد احتاجت النتائج في ظهورها وقتاً ليس بالقصير مما أوهم البعض بأن خطاب العقيلة، وخروج سيد الشهداء عليهما السلام وتضحيته العظيمة بما شهدته كربلاء فلا حاجة إلى التدليل لم يكونا قد حققا أهدافها وهذا يكشف عن الجهل أو التضليل والتدليس للحقائق أو المكابرة وكل ذلك لا يغير من الواقع شيئاً.

فاليوم أتباع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأشياعهم ملأوا الأرض فضلاً عن تأثر الفكر الإنسانى عموماً بهذه القضية وانجذابهم إلى أهدافها وتعاطفهم مع تضحياتها مما جعلها مدرسة ينهل منها أهل الفكر والعلم وعشاق الحرية والكرامة والعزة.

ولعل الرجوع إلى خطاب العقيلة زينب عليها السلام وما تبعه من ظهور (الاستجابة المسيطرة) لدى الناس وتغير اتجاههم نحو العترة لغير ما نستدل به على ثبوت هذه الحقيقة، وهو ما سنعرض له فى (ثانياً).

ثانياً: شواهد ظهور الاستجابة المسيطرة وتغيير الاتجاه في المجتمع الكوفي بعد خطاب العقيلة زينب عليها السلام

الشاهد الأول: التغيير العام في سلوك أهل الكوفة

إن أول الشواهد ظهوراً في تحقيق الاستجابة المسيطرة في المجتمع الكوفي بعد خطاب العقيلة زينب عليها السلام يكمن في التغيير العام في سلوك أهل الكوفة لاسيما أولئك الذين تجمعوا للاستماع إلى خطابها، أما من حقت عليه كلمة العذاب فلا تنفعه المواعظ ولا الإنذار ولذلك تفيد الرواية التاريخية بأن أهل الكوفة أصبحوا بعد سماعهم لخطاب العقيلة بكيفية تكشف عن العودة إلى الذات والبحث عن السبل التي تمكنهم من تصحيح المسير والاتجاه، وفي ذلك يقول الراوي لخطبة العقيلة زينب عليها السلام والشاهد على حال أهل الكوفة بعد سماعهم لخطبتها عليها السلام:

(فأريت الناس حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم، فالتفت إلى شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول:

صدقت بأبي وأمي، كهولهم خير الكهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب، ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم، ثم أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم

إذا عد نسل لا يبور ولا يخزي⁽¹⁾

وهذا هو الشاهد التاريخي الأول.

1- بلاغات النساء لابن طيفور: ص24؛ الأمل للمفيد: ص324؛ الأمل للطوسي: ص93؛ الاحتجاج للطبرسي: ج2، ص31؛ التذكرة الحمديونية لابن حمدون: ج6، ص266؛ تاريخ الكوفة للسيد البراقى: ص295؛ البحار: ج45، ص164.

الشاهد الثاني: ارتفاع صوت الناس بالبكاء حينما خاطبهم الإمام زين العابدين عليه السلام

قولهم للإمام زين العابدين عليه السلام: نحن سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك.

ما رواه الطبري (المتوفى سنة 548هـ) وابن نما الحلبي (المتوفى سنة 645هـ) وغيرهما:

أن الإمام زين العابدين عليه السلام حينما كلم الناس بعد العقيلة عليها السلام فكان مما قال:

«بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي فليست من أمتي».

يقول الراوي: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضاً، هلكتم وما تعلمون(1).

ثم قال عليه السلام:

«رحم الله امرأ قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله، وفي رسوله وأهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة».

فقالوا بأجمعهم: نحن يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله
فإننا

1- الاحتجاج للطبرسي: ج2، ص32؛ مشير الأحزان لابن نما الحلبي: ص69؛ بحار الأنوار: ج45، ص113.

حرب لحريك وسلم لسلمك، نبراً ممن ظلمك وظلمنا(1).

الشاهد الثالث: حسبك يا ابنة الطاهرين

ومن الشواهد أيضاً على تغيير الاتجاه نحو العترة النبوية عليهم السلام قول أهل الكوفة لفاطمة بنت الحسين عليهما السلام بعد أن خطبت فيهم، يقول الراوى:

(فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، وقالوا: حسبك يا ابنة الطاهرين فقد حرقت قلوبنا، وأضرمت أجوافنا، فسكتت)(2).

الشاهد الرابع: تفجر شرارة الانتفاضة على والى الكوفة بلسان عبد الله بن عفيف الأزدي

إن أول ظهور عملي بإصلاح البنية الفكرية بفعل الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام فى الكوفة وتغيير الاتجاه نحو العترة النبوية ونصرهم وإعلان الحرب على عدوهم ومواجهة الحاكم الجائر الظالم مما أعطى صورة عن السلوك الأنموذج لانطلاق الإصلاح وتغيير الاتجاه، هو انتفاضة عبد الله ابن عفيف الأزدي فى مجلس ابن زياد والى الكوفة.

وفى مجرياتها روى كلُّ من ابن حبيب البغدادي (المتوفى سنة 245)

1- الاحتجاج للطبرسى: ج2، ص32؛ مشير الأحزان لابن نما الحلبي: ص70؛ البحار: ج45، ص113؛ العوالم للبحراني: ص382.

2- الاحتجاج للطبرسى: ج2، ص29؛ مشير الأحزان: ص68؛ البحار: ج45، ص112؛ العوالم للبحراني: ص380.

والبلاذرى (المتوفى سنة 279هـ) والطبرى (المتوفى سنة 310هـ) وغيرهم، عن حميد بن مسلم، أنه قال:

(لما دخل عبيد الله بن زياد القصر ودخل الناس نودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس فى المسجد الأعظم فصعد المنبر ابن زياد، فقال:

الحمد لله الذى أظهر الحق وأهله، ونصر أمير (المؤمنين) يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على وشيعته؛ فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدى، فقال له:

يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذى ولآك وأبوه، يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين.

فقال ابن زياد: علىّ به، فوثبت عليه الجلاوزة، فأخذه، فنادى بشعار الأزدي: يا مبرور وصاحر الكوفة يومئذ من الأزدي سبعمائة مقاتل، فوثبت إليه فتية من الأزدي فانتزعوه فأتوا به أهله.

فقال ابن زياد للاشراف: أما رأيتم ما صنع هؤلاء؟ قالوا: بلى؛ قال: فسيروا أنتم يا أهل اليمن حتى تأتونى بصاحبكم، وأشار عليه عمرو بن الحجاج بأن يجلس كل من كان فى المسجد من الأزدي؛ وحسبوا وفيهم عبد الرحمان بن مخنف وغيره، فأقتلت الأزدي وأهل اليمن قتالاً شديداً، واستبطأ ابن زياد أهل اليمن، فقال لرسول بعثه إليهم:

أنظر ما بينهم؟

فأتاهم فرأى أشد قتال، فقالوا: قل للأمير: إنك لم تبعثنا إلى نبط الجزيرة ولا إلى جرامقة الموصل، إنما بعثتنا إلى الأزدي، إلى أسود الأجم ليسوا ببيضة تحسى ولا حرمة توطأ.

فقتل من الأزدي عبيد الله بن حوزة الدالبي ومحمد بن حبيب البكري، وكثرت القتلى بينهم وقويت أهل اليمانية على الأزدي، وصاروا إلى خص في ظهر دار ابن عفيف فكسروه واقتحموا عليه داره فناولته ابنته سيفه فجعل يذب به نفسه، وشدوا عليه من كل جانب حتى أخذوه فانطلقوا به إلى ابن زياد، وهو يقول:

أقسم لو يفسح لي عن بصرى.... شق عليكم موردى ومصدرى؛ ثم أمر به ابن زياد بعد أن دار كلام بينهما في عثمان بن عفان، ثم أمر به فصلب في السبخة(1).

الشاهد الخامس: قائد جيش الكوفة يظهر ندمه وخسرانه في طاعته لابن زياد

من الشواهد الدالة على آثار الخطاب الديني للعقيلة زينب في تغيير البنية الفكرية والاتجاهات النفسية نحو الأقمار بالحق وإن إتباع بنى أمية ورموزها هو الباطل والخسران الكبير ما نطق به عمر بن سعد معترفاً ومقرراً ومعترفاً __ بدور

1- أنساب الأشراف للبلاذري: ج3، ص210؛ المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي: ص480؛ تاريخ الطبري: ج4، ص351؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج4، ص83؛ المقتل لابن مخنف: ص207؛ الإرشاد للمفيد: ج2، ص117.

وأثار الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام بعد أن رأى حال الناس في الكوفة عند دخول السبايا واستماعهم إلى خطاب العقيلة زينب ولذا: لم يجد غير الإفصاح عن هذا الندم والإقرار بالهزيمة وأن النصر الحقيقي للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ونهجه ودعوته الإصلاحية في الأمة؛ ولذلك: جعل يقول:

(ما رجع أحد إلى أهله بشر مما رجعت به! أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة)⁽¹⁾.

وعليه:

فإن هذه الشواهد لتدل على اجتماع المكونات الأساسية للاتجاه النفسي نحو العترة النبوية ومن ثم نجاح المشروع الإصلاحى الذى خرج به الإمام الحسين عليه السلام وأكملته العقيلة زينب عليها السلام، وهو ما سنتناوله فى ثالثا.

ثالثا: اجتماع المكونات الأساسية للاتجاه النفسى نحو العترة بفعل الخطاب الدينى للعقيلة زينب عليها السلام

إشارة

ذهب علماء النفس الاجتماعى إلى أن مكونات الاتجاه هى ثلاثة مكونات، وإن هذه المكونات اجتمعت فى مجتمع الكوفة بعد استماعهم لخطاب العقيلة، وهذه المكونات كالاتى:

1- أنساب الأشراف للبلاذرى: ج10، ص190؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج3، ص303؛ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ص81.

المكون الأول: المكون المعرفي

لا شك أن المفردات التي اشتمل عليها خطاب العقيلة زينب عليها السلام وما تحقق لديها من أرضية في مأساة عاشوراء لكفيلة بتحقيق الجانب المعرفي بالقضية التي بعث بها سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم ممثلة بعترته عليهم السلام.

ولذلك إن الجانب المعرفي (يتمثل في العمليات العقلية التي ترتبط بمعتقدات الفرد نحو الأشياء، فاتجاه الفرد نحو الإسلام مثلاً يبعث عن معتقدات معينة)⁽¹⁾.

وهذه المعتقدات المعينة في الإسلام الأموي احتاج إلى هذا الخروج من سيد الشهداء من المدينة ومكة إلى العراق ليظهر المعتقدات الصحيحة في التوحيد والنبوة والإمامة على أرض كربلاء.

وذلك أن المكونات المعرفية يمكن تقسيمها إلى:

أ: المدركات والمفاهيم، أي ما يدركه الفرد حسياً ومعنوياً.

ب: المعتقدات، وهي مجموعة المفاهيم المتبلورة الثابتة في المحتوى النفسي والعقلي للفرد.

ج: التوقعات: وهي ما يمكن أن يتنبأ به الفرد بالنسبة للآخرين أو يتوقع حدوثه.

1- علم النفس الاجتماعي للكندري: ص 297.

ولا ريب أن تلك المكونات قد أحاطت بها العقيلة زينب عليها السلام ومن ثم عملت على تحريكها في نفوس وعقول أهل الكوفة، ومن ثم حققت المكون الأول للاتجاه النفسى __ من خلال خطابها __ لأهل الكوفة.

المكون الثانى: المكون الوجدانى الانفعالى

إن من البداهة بمكان أن تتفرد مأساة كربلاء على تاريخ الأمم السابقة واللاحقة من حيث غزارة العاطفة والوجدان، ومن ثم فإن المكون الثانى للاتجاه النفسى يكون هو الأبرز فى تغيير الاتجاه نحو العترة النبوية عليهم السلام.

يقول الكندرى فى تعريف هذا الجانب: (يتمثل فى النواحي العاطفية والانفعالية المرتبطة بالأشياء والأشخاص والأحداث المختلفة، ولقد أكدت معظم البحوث والدراسات التى أجريت حول المكونات العاطفية والانفعالية للاتجاه النفسى أنها تحدد عمق وشدة وكمية الانفعال الذى يصاحب سلوك الفرد نحو موضوع أو شخص أو شىء معين، ويتضح ذلك من غضب أو سرور الفرد عند مناقشته موضوع الاتجاه مع الآخرين)⁽¹⁾.

ويقول محمود فتحى عكاشة فى بيان اهتمام المكون الانفعالى:

(بالنسبة للمكون الانفعالى يهتم بالجانب العاطفى لهذه الاعتقادات، كما يمثل مقدار الشعور الإيجابى أو السلبى للفرد نحو موضوع الاتجاه، فقد يختلف شخصان فى الخصائص التى يعزوها كل منهما لموضوع الاتجاه، ولكن يمكن أن

يكون متماثلاً في درجة الشعور الإيجابي أو السلبي اللذين يظهرانه أنه نحوه(1).

ومن ثم فإن المسلمين اليوم قد يختلفان في المكون المعرفي في الاتجاه النفسي فيما يمثله الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من عقيدة من حيث أنه إمام معصوم مفترض الطاعة أم أنه ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ومن ثم لا يتفقان في المكون المعرفي إلا أنهما يكونان متماثلين في درجة الشعور الإيجابي اللذين يظهرانه نحو ما جرى على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعياله في كربلاء وأنهما يبديان الاهتمام بالجانب العاطفي نحو هذه الشخصية ومن ثم يكون الإمام الحسين عليه السلام قد حقق نسبة كبيرة من تغيير الاتجاه النفسي نحو القرآن والعترة ومن ثم تكون إمكانية تحقق المكون المعرفي سهلة.

المكون الثالث: المكون النزعي السلوكي

وهذا المكون هو نتيجة لما سبق من المكونات ومكمل لهما وذلك أنه يكون (نتيجة للمكونين السابقين ويشير إلى نية الفرد ليسلك بطريقة معينة أو إلى سلوكه الفعلي فيما يتعلق بموضوع الاتجاه.

ومن المتوقع أن ترى في الواقع علاقة قوية بين المكونات الثلاثة طالما أن الطريقة التي يتصور بها الفرد الموضوع ينبغي أن تؤثر في قوة شعوره نحو الموضوع، والتي بدورها ينبغي أن تؤثر في سلوكه الظاهر(2).

1- المدخل إلى علم النفس الاجتماعي لعكاشة: ص 124.

2- المدخل إلى علم النفس الاجتماعي لعكاشة: ص 124.

ولا يخفى على المتتبع للتاريخ الإسلامى فضلاً عما ذكرناه من شواهد أنه يجد خير دليل على قدرة العقيلة زينب عليها السلام ومن خلال خطابها الدينى فى تغيير الاتجاه النفسى للمسلم فى المجتمع الكوفى أو غيره من المجتمعات حينما يستحضر القارئ أو الباحث جميع مجريات قضية عاشوراء.

وإن شعار الإصلاح الذى خرج من أجله أخوها ریحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذى أخرجها من أجله لتكمل مسيرته صلوات الله عليهما قد نجح نجاحاً منقطع النظير فى جميع الحركات الإصلاحية التى ظهرت على الأرض سواء ما كانت بيد الأنبياء عليهم السلام أو ما خرج به كثير من المفكرين والمصلحين فى شرق الأرض وغربها.

والسبب فى تحقق هذا النجاح هو اكتمال هذه المكونات الثلاثة بدرجة تامة، أى: (المكون المعرفى، والمكون الانفعالى، والمكون النزعى السلوكى) فى حين تفاوتت الحركات الإصلاحية سواء ما كان منها مرتبطاً بالسماء أو بالأرض بتحقيق هذه المكونات بنسبة مختلفة وقد لا تجد هذه الحركات سوى مكون واحد ومن ثم لا يكتب لها الدوام والاستمرارية، ولا تجد هناك سلوكاً ظاهراً يدل على تغيير الاتجاه النفسى نحو هذه الحركة الإصلاحية.

فى حين أننا نجد: أن الظواهر السلوكية لدى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فى كاشفيتها عن الاتجاه النفسى نحو العترة النبوية ومن خلال الشعائر الحسينية وغيرها لخير دليل على نجاح خطاب العقيلة زينب فى إصلاح البنية الفكرية فى المجتمع المسلم وأنها جاءت بحقيقة التجديد فى الخطاب الدينى.

فمن التمسك بمشروع السقيفة والتنصر لبني أمية إلى التمسك بالثقلين حيث أمر بهما جدها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

والتضحية من أجلهما بالمال والولد والأنفس، فأى عقيدة أرسخ من هذه العقيدة.

فسلام الله وصلاته على عقيلة الطالبين وزينة أبيها على أمير المؤمنين، زينب الكبرى شبيهة جدتها خديجة، ومثال أمها فاطمة صلوات الله عليهم أجمعين.

وسلام على العقيلة زينب يوم ولدت، ويوم استشهدت، ويوم تبعت حياً.

تم بحمد الله وسابق لطفه وعنايته في يوم السبت الموافق الرابع من شهر صفر الخير لسنة 1435هـ، المصادف 7/12/2013م، في أروقة مكتبة العتبة الحسينية المقدسة.

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}{(1)}. {وَمَا تُوَفِّيهِ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}{(2)}. {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}{(3)}.

نبيل بن السيد قدوري بن السيد حسن

ابن السيد علوان بن السيد جاسم الحسنى الكربلائي

1- سورة البقرة، الآية: 127.

2- سورة هود، الآية: 88.

3- سورة الصافات، الآية: 182.

المصادر

1. أحاديث عائشة / تأليف: السيد مرتضى العسكري / نشر: التوحيد للنشر لسنة 1414هـ، 1994م / الطبعة الخامسة / طبع: مطبعة صدر / قم المقدسة _ إيران.
2. الاحتجاج / تأليف: الشيخ أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي (ت 548هـ) / تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري / نشر وطبع: دار الأسوة للطباعة والنشر لسنة 1425هـ، 2004م / الطبعة السادسة / قم المقدسة _ إيران.
3. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد / الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (ت 413هـ) / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث / نشر وطبع: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع لسنة 1414هـ، 1993م / الطبعة الثانية / بيروت لبنان.
4. أساس البلاغة / تأليف: الزمخشري (ت 538هـ) / نشر وطبع: دار ومطابع الشعب لسنة 1960م / القاهرة _ مصر.
5. الاستذكار / تأليف: ابن عبد البر (ت 463هـ) / تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1420هـ، 2000م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

6. أسد الغابة فى معرفة الصحابة / تأليف: عز الدين ابن الأثير أبى الحسن على ابن محمد الجزرى (ت 630) / تحقيق: مجموعة من المحققين / الطبعة الثانية / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: 1424هـ، 2003م / بيروت - لبنان.
7. الإصابة فى تمييز الصحابة / تأليف: الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت 852هـ) / دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1415هـ، 1994م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
8. الإصابة فى تمييز الصحابة / تأليف: الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت 852هـ) / نشر وطبع: دار السعادة.
9. أصول السرخسى / تأليف: السرخسى (ت 483هـ) / تحقيق: أبو الوفا الأفغانى / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1414هـ، 1993م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
10. أصول الكافى / تأليف: الشيخ محمد بن يعقوب الكلينى (ت 329هـ) / نشر وطبع: دار الأسوة للطباعة والنشر لسنة 1425هـ، 2004م / الطبعة الخامسة / قم المقدسة - إيران.
11. الأمالى / تأليف: الشيخ أبو جعفر بن محمد بن الحسن الطوسى (ت 460هـ) / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / نشر وطبع: مركز الطباعة والنشر فى مؤسسة البعثة لسنة 1414هـ، 1993م / الطبعة الأولى / قم المقدسة - إيران.
12. الأمالى / تأليف: الشيخ أبو جعفر محمد بن على الصدوق (ت 381هـ) / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / نشر وطبع: مركز الطباعة والنشر فى مؤسسة البعثة لسنة 1417هـ، 1996م / الطبعة الأولى / قم المقدسة - إيران.

13. الأملى / تأليف: الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (ت 413هـ) / تحقيق: حسين الأستاذ ولي، على أكبر الغفارى / نشر وطبع: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع لسنة 1414هـ، 1993م / الطبعة الثانية / بيروت لبنان.
14. أنساب الأشراف / تأليف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى (ت 279هـ) / تحقيق: محمود الفردوس العظم / نشر وطبع: دار اليقظة العربية لسنة 1997م / الطبعة الأولى / دمشق _ سوريا.
15. باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة / تأليف: السيد نبيل الحسنى / دراسة وتحقيق: المؤلف / نشر: قسم الشؤون الفكرية فى العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء لسنة 1435هـ، 2013م / طبع: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.
16. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / تأليف: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسى (ت 1111هـ) / نشر وطبع: مؤسسة الوفاء لسنة 1403هـ، 1983م / الطبعة الثانية المصححة / بيروت _ لبنان.
17. البحر الرائق / تأليف: ابن نجيم المصرى (ت 970هـ) / ضبط وتخرىج الآيات والأحاديث: الشيخ زكريا عميرات / نشر منشورات محمد على بيضون لسنة 1418هـ، 1997م / طبع: دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.
18. بغية الطلب فى تاريخ حلب / تأليف: كمال الدين ابن العديم عمر بن أحمد بن أبى جرادة (ت 660هـ) / تحقيق: سهيل زكار / نشر وطبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت _ لبنان.
19. بلاغات النساء / تأليف: أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر طيفور (ت 280هـ) /

تحقيق: بركات يوسف هبود / نشر وطبع: المكتبة العصرية لسنة 1426هـ_ / الطبعة الأولى / صيدا.

20. البلدان / تأليف: أحمد بن محمد الهمداني (ابن الفقيه الهمداني) (ت 340هـ) / تحقيق: يوسف الهادي / نشر وطبع: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع لسنة 1416هـ، 1996م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

21. البيان والتبيين / تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون / نشر وطبع: دار الجيل / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

22. تاريخ الطبري / تأليف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) / تحقيق وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة 1403هـ، 1983م / الطبعة الرابعة / بيروت _ لبنان.

23. التاريخ الكبير / تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن البخاري (ت 256هـ) / نشر وطبع: المكتبة الإسلامية / ديار بكر _ تركيا.

24. تاريخ الكوفة / تأليف: السيد البراقى (ت 1332هـ) / تحقيق: ماجد أحمد العطية / استدراقات: السيد محمد صادق آل بحر العلوم المتوفى 1399هـ_ / نشر وطبع: إنتشارات المكتبة الحيدرية لسنة 1424هـ، 2004م / الطبعة الأولى / النجف الأشرف _ العراق.

25. تاريخ مدينة دمشق / تأليف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ) / تحقيق: علي شيرى / نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: 1415هـ_ / بيروت.

26. التبيان فى تفسير القرآن / تأليف: الشيخ أبو جعفر الطوسى (ت 460هـ) /

تحقيق وتدقيق وتعليق: على شيرى / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربى لسنة 1408هـ / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

27. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم / تأليف: ابن شعبة الحرانى المتوفى فى القرن الرابع / تصحيح وتحقيق: على أكبر الغفارى / نشر وطبع: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين لسنة 1404هـ، 1983م / الطبعة الثانية / قم المقدسة _ إيران.

28. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى / تأليف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت 1353هـ) / تحقيق: عصام الصبايطى / نشر وطبع: دار الحديث لسنة 1422هـ، 2001م / الطبعة الأولى / القاهرة _ مصر.

29. التذكرة الحمدونية / تأليف: ابن حمدون (ت 562هـ) / تحقيق: احسان عباس وبكر عباس / نشر وطبع: دار صادر للطباعة والنشر لسنة 1416هـ، 1996م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

30. تفسير الثورى / تأليف: سفيان الثورى / (ت 161هـ) / تحقيق: لجنة من العلماء / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1403هـ، 1983م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

31. تفسير السمرقندى / تأليف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى الحنفى (ت 373هـ) / تحقيق: د. محمود مطرجى / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1427هـ، 2007م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

32. تفسير القرآن / تأليف: عبد الرزاق الصنعانى (ت 211هـ) / تحقيق: الدكتور مصطفى مسلم محمد / نشر وطبع: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع لسنة 1410هـ، 1989م / الطبعة الأولى / الرياض _ المملكة العربية السعودية.

33. تفسير مجمع البيان / تأليف: الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ) / تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين والأخصائيين / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة 1415هـ، 1995م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.
34. تفسير مقاتل بن سليمان / تأليف: الإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء البلخي (ت 150هـ) / تحقيق: أحمد فريد / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1424هـ، 2004م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.
35. التمهيد / تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ) / تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري / نشر وطبع: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية لسنة 1387هـ / المغرب.
36. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل / تأليف: أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي (ت 403هـ) / تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر / نشر وطبع: مؤسسة الكتب الثقافية لسنة 1414هـ، 1993م / الطبعة الثالثة / بيروت _ لبنان.
37. تهذيب الكمال / تأليف: أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزى (ت 742هـ) / تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1425هـ، 2004م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.
38. الثقات / تأليف: محمد بن حبان التميمي البستي (ت 354هـ) / الطبعة الأولى / نشر وطبع: مؤسسة الكتب الثقافية لسنة 1393م / حيدر آباد الدكن _ الهند.
39. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبرى) / تأليف: أبو جعفر محمد

ابن جرير الطبري (ت 310هـ) / نشر وطبع: دار ابن حزم _ دار الإعلام لسنة 1423هـ، 2003م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

40. جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق / تأليف: علي بن محمد القمي المتوفى في القرن السابع / تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي / نشر: إنتشارات زمينه سازان ظهور إمام عصر (عج) / طبع: مطبعة باسدار اسلام / الطبعة الأولى / قم المقدسة _ إيران.

41. جامع بيان العلم وفضله / تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ) / نشر: دار ابن الجوزي لسنة 1414هـ، 1994م / الطبعة الأولى / المملكة العربية السعودية.

42. الجامع لاحكام القرآن _ تفسير القرطبي / تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ) / تحقيق: احمد عبد العليم البردوني / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي / بيروت _ لبنان.

43. جغرافية المعتقدات والديانات / تأليف: د. محسن عبد الصاحب المظفر / نشر وطبع: دار صفاء لسنة 1431هـ _ الطبعة الأولى / عمان.

44. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام / أبو البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (ت 871هـ) / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي / نشر وطبع: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية لسنة 1416هـ _ الطبعة الأولى / قم المقدسة _ إيران.

45. الجوهرة في نسب الإمام علي عليه السلام وآله / تأليف: محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني المعروف بالبري المتوفى في القرن السابع / تحقيق:

- الدكتور محمد التونجي / نشر: مكتبة النوري بدمشق / طبع: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات لسنة 1402هـ / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
46. الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب / تأليف: محمد أبو زهرة / نشر وطبع: دار الفكر العربي لسنة 1353هـ، 1934م / القاهرة - مصر.
47. الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية / تأليف: المحقق البحراني (ت 1186هـ) / تحقيق: شركة دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث / نشر وطبع: شركة دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث لسنة 1423هـ، 2002م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
48. الزمان والأزل / مقال في فلسفة الدين / ترجمة: الدكتور زكريا إبراهيم.
49. السقيفة وفدك / تأليف: الجوهري (ت 323هـ) / تقديم وجمع وتحقيق: الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني / نشر وطبع: شركة الكتبي للطباعة والنشر لسنة 1413هـ، 1993م / الطبعة الثانية / بيروت - لبنان.
50. سنن أبي داوود / تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ) / تحقيق وتعليق: سعد محمد اللحام / نشر وطبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لسنة 1410هـ، 1990م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
51. سنن الترمذي / تأليف: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ) / تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف / نشر وطبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لسنة 1403هـ، 1983م / الطبعة الثانية / بيروت - لبنان.
52. السنن الكبرى / تأليف: الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458هـ) / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / نشر وطبع: دار الكتب

العلمية لسنة 1424هـ / الطبعة الثالثة / بيروت لبنان.

53. سوالات الآجری لأبی داود / تألیف: سلیمان بن الأشعث السجستانی (ت 275هـ) / تحقیق: عبد العلیم عبد العظیم البستوی / نشر: مكتبة دار الاستقامة، السعودية لسنة 1418هـ، 1997م / طبع: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.
54. سير أعلام النبلاء / تألیف: شمس الدين الذهبي (ت 630هـ) / إشراف وتخريج: شعيب الأرناؤوط / نشر وطبع: مؤسسة الرسالة لسنة 1413هـ، 1993م / الطبعة التاسعة / بيروت _ لبنان.
55. شرح الصدور بتحريم رفع القبور / محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ).
56. شرح نهج البلاغة / تألیف: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656هـ) / تحقیق: محمد ابو الفضل إبراهيم / نشر وطبع: دار إحياء الكتب العربية لسنة 1378هـ، 1959م / الطبعة الأولى / بغداد _ العراق.
57. الصحاح _ تاج اللغة وصحاح العربية / تألیف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ) / تحقیق: د. اميل بديع يعقوب / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1420هـ / الطبعة الأولى / بيروت لبنان.
58. صحيح البخارى / تألیف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن البخارى (ت 256هـ) / نشر وطبع: عالم الكتب لسنة 1405هـ، 1985م / الطبعة الرابعة / بيروت _ لبنان.
59. صحيح مسلم / تألیف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ) / تحقیق: د. محمد عبد الرحمن المرعشلي / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي لسنة 1420هـ، 2000م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

60. الطبقات الكبرى / تأليف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230هـ) / نشر وطبع: دار صادر - دار بيروت لسنة 1376هـ، 1956م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
61. علم النفس الاجتماعي والحياة المعاصرة / تأليف: الدكتور أحمد محمد مبارك الكندري / نشر وطبع: مكتبة الفلاح لسنة 1432هـ، 2012م / الطبعة الأولى / الكويت.
62. علم خصائص الشعوب - علم الأقاليم / تأليف: د. علي عبد الله الجبوي / نشر وطبع: دار التكوين لسنة 1428هـ، 2008م / الطبعة الأولى / دمشق - سوريا.
63. عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى / تأليف: بدر الدين العيني (ت 855هـ) / تحقيق: محمد أحمد الحلاق / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربى لسنة 1424هـ، 2004م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
64. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام / تأليف: الشيخ عبد الله البحراني (ت 1130هـ) / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الإصفهاني / نشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالحوزة العلمية لسنة 1407هـ، 1987م / طبع: مطبعة أمير / الطبعة الأولى المحققة / قم المقدسة - إيران.
65. عيون الأخبار / تأليف: ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) / نشر منشورات محمد علي بيضون لسنة 1424هـ، 2003م / طبع دار الكتب العلمية / الطبعة الثالثة / بيروت - لبنان.
66. الفائق فى غريب الحديث / تأليف: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1417هـ / الطبعة الأولى / بيروت -

67. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء / تأليف: أحمد بن عبد الرزاق الدويش / طبع: الرياض - المملكة العربية السعودية
68. فتح الباري فى شرح صحيح البخارى / تأليف: الحافظ أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى (ت 852هـ) / نشر وطبع: دار المعرفة للطباعة والنشر / الطبعة الثانية / بيروت - لبنان.
69. الفتنة ووقعة الجمل / تأليف: سيف بن عمر الضبى الأسدى (ت 200هـ) / تحقيق: أحمد راتب عرموش / نشر وطبع: دار النفائس لسنة 1397هـ / الطبعة الثانية / بيروت - لبنان.
70. الفتوح / تأليف: أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى (ت 314هـ) / تحقيق: على شيرى / نشر وطبع: دار الأضواء لسنة 1411هـ / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
71. فضائل الصحابة / تأليف: أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى (ت 303هـ) / نشر: دار الكتب العلمية لسنة 1405هـ، 1984م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
72. فيض القدير شرح الجامع الصغير / تأليف: زين الدين محمد بن تاج العارفين ابن على بن زين العابدين الحدادى المناوى (ت 1031هـ) / تصحيح: أحمد عبد السلام / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1415هـ، 1994م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
73. قرب الاسناد / تأليف: الحميرى القمى (ت 304هـ) / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسنة 1413هـ / الطبعة الأولى / قم المقدسة - إيران.
74. الكافى فى الفقه / تأليف: أبو الصلاح الحلبي (ت 447هـ) / تحقيق: رضا أستاذى

/ نشر وطبع: مكتبة الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام العامة / إصفهان _ إيران.

75. الكامل في التاريخ / تأليف: أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ) / نشر وطبع: دار صادر للطباعة والنشر لسنة 1386هـ، 1966م / بيروت _ لبنان.

76. كتاب الأم / تأليف: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي (ت 204هـ) / نشر وطبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لسنة 1403هـ، 1983م / الطبعة الثانية / بيروت _ لبنان.

77. كتاب العين / تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) / تحقيق: د. مهدي المخزومي / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمی لسنة 1408هـ، 1987م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

78. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / تأليف: أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن محمد الزمخشري (ت 538هـ) / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1427هـ، 2006م / الطبعة الرابعة / بيروت _ لبنان.

79. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / تأليف: أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن محمد الزمخشري (ت 538هـ) / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1427هـ، 2006م / الطبعة الرابعة / بيروت _ لبنان.

80. كشف المحجة لثمره المهجة / السيد ابن طاووس (ت 664هـ) / نشر وطبع المطبعة الحيدرية لسنة 1370هـ، 1950م / النجف الأشرف.

81. كمال الدين وتمام نعمة / تأليف: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت 381هـ) / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمی / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمی لسنة

1424هـ / الطبعة الثانية / بيروت _ لبنان.

82. كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال / تأليف: علاء الدين على بن حسام الدين الهنـدى الشهير بالمتقى الهنـدى (ت 975هـ) / ضبط وتفسير: الشيخ بكرى حيانى / نشر وطبع: مؤسسة الرسالة لسنة 1409هـ، 1989م / بيروت _ لبنان.

83. لسان العرب / تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصارى المصرى (ت 711هـ) / تحقيق: عامر أحمد حيدر / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1424هـ، 2004م / الطبعة الاولى / بيروت _ لبنان.

84. اللهوف فى قتلى الطفوف / السيد رضى الدين أبى القاسم بن طاووس (ت 664هـ) / نشر وطبع: أنوار الهدى لسنة 1423هـ / الطبعة الثانية / قم المقدسة _ إيران.

85. لواعج الأشجان فى مقتل الحسين عليه السلام / السيد محسن الأمين العاملى (ت 1371هـ) / تحقيق: السيد حسن الأمين نشر وطبع: دار الأمير لسنة 1417هـ / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

86. مبانى تكملة المنهاج / تأليف: السيد الخوئى (ت 1413هـ) / نشر وطبع: المطبعة العلمية لسنة 1396هـ، 1976م / الطبعة الثانية / قم المقدسة _ إيران.

87. مثير الأحزان / تأليف: نجم الدين جعفر بن محمد بن نما الحللى (ت 645هـ) / نشر وطبع: دار العلوم لسنة 1423هـ / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

88. المجالس الفاخرة فى مصائب العترة الطاهرة / تأليف: السيد شرف الدين (ت 1377هـ) / مراجعة وتحقيق: محمود بدرى / نشر مؤسسة المعارف الإسلامية لسنة 1421هـ، 2000م / طبع: مطبعة عترة / الطبعة الأولى / قم المقدسة _ إيران

89. مجلة المعرفة، المعتقدات الدينية لدى الشعوب / تأليف: مجموعة مؤلفين /

ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام / نشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لسنة 1413هـ، 1993م / الطبعة الأولى / الكويت.

90. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / تأليف: الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي (ت 807هـ) / تحقيق عبد الله محمد الدرويش / نشر وطبع: دار الفكر لسنة 1425هـ، 2004م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

91. مجموعة الفتاوى / تأليف: ابن تيمية (ت 728هـ) / نشر وطبع: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

92. المحاسن / تأليف: الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت 274هـ) / تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث) / نشر وطبع: دار الكتب الإسلامية لسنة الطبع: 1370هـ، 1950م / طهران _ إيران.

93. المحبر / تأليف: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، أبو جعفر البغدادي (ت 245هـ) / نشر وطبع: مطبعة الدائرة لسنة 1361هـ، ذى القعدة.

94. المحصول / فخر الدين الرازي (ت 606هـ) / تحقيق: دكتور طه جابر فياض العلواني / نشر وطبع: مؤسسة الرسالة لسنة 1412هـ، 1982م / الطبعة الثانية / بيروت _ لبنان.

95. المختصر في أخبار البشر تاريخ أبي الفداء / تأليف: أبي الفدا (ت 732هـ) / نشر دار المعرفة للطباعة والنشر / طبع: شركة علاء الدين للطباعة والتجليد / بيروت _ لبنان.

96. مروج الذهب ومعادن الجوهر / تأليف: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346هـ) / تحقيق: أمير مهنا / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي لسنة 1421هـ، 2001م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

97. مستدرک سفینه البحار / علی نمازی الشاهرودی (ت 1405هـ) / تحقیق وتصحیح: السید حسن بن علی النمازی / نشر وطبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين لسنة 1418هـ، 1998م / الطبعة الأولى / قم المقدسة - إيران.
98. المستدرک علی الصحیحین / تألیف: أبو عبد الله الحاکم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبی الطهمانی النيسابوری المعروف بابن البيع (ت 405هـ) / تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1422هـ، 2001م / الطبعة الثانية / بيروت - لبنان.
99. المستدرک علی الصحیحین / تألیف: ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاکم النيسابوری (ت 405هـ) / تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة 1422هـ، 2001م / الطبعة الثانية / بيروت - لبنان.
100. مسند أبي يعلى / تألیف: أبو يعلى الموصلى (ت 307هـ) / تحقیق: حسين سليم أسد / نشر وطبع: دار المأمون للتراث.
101. مسند أحمد / تألیف: احمد بن محمد بن حنبل (ت 241هـ) / نشر وطبع: دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت - لبنان.
102. مصابيح الظلام فى شرح مفاتيح الشرائع / تألیف: محمد باقر الوحيد البهبهانی (ت 1205هـ) / تحقیق: مؤسسه العلامة المجدد الوحيد البهبهانی رحمه الله / نشر وطبع: مؤسسه العلامة المجدد الوحيد البهبهانی رحمه الله لسنة 1424هـ، 2004م / الطبعة الأولى.
103. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة / المنسوب للإمام الصادق عليه السلام (ت 148هـ) / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات لسنة 1400هـ، 1980م /

الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

104. مصباح الفقاهة فى المعاملات / تأليف: السيد الخوئى (ت 1413هـ) / الطبعة الأولى المحققة / نشر: مكتبة الداورى / طبع: المطبعة العلمية / قم المقدسة _ إيران.

105. المصنف / تأليف: الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى اليمانى الصنعانى (ت 211هـ) / تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى / نشر وطبع: المجلس العلمى لسنة 1309هـ، 1891م / الطبعة الأولى / جوهانزبورغ _ ألمانيا.

106. معانى القرآن / تأليف: النحاس (ت 338هـ) / تحقيق: الشيخ محمد على الصابونى / نشر وطبع: جامعة أم القرآن لسنة 1409هـ، 1989م / الطبعة الأولى / المملكة العربية السعودية.

107. معجم البلدان / تأليف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (ت 626هـ) / نشر: دار صادر لسنة 1428هـ / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

108. المعجم الكبير / تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360هـ) / تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى / نشر وطبع: الدار العربية للطباعة لسنة 1319هـ، 1901م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.

109. معجم اللغة العربية المعاصر / تأليف: الحبيب النصراوى / نشر وطبع: مطبوعات مجمع اللغة العربية لسنة 1429هـ، 2009م / الطبعة الأولى / دمشق _ سوريا.

110. معجم مقاييس اللغة / تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس) (ت 395هـ) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون / نشر وطبع: مكتبة الإعلام الإسلامى لسنة 1404هـ، 1938م.
111. مقاتل الطالبين / تأليف: أبي الفرج الأصفهاني / نشر: دار التربية / الطبعة الأولى / بغداد _ العراق.
112. مقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام / أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد العامري الأزدي الكوفي (ت 157هـ) / تحقيق: كامل سلمان الجبوري / نشر وطبع: دار المحجة البيضاء لسنة 1402هـ / الطبعة الأولى / بيروت.
113. مناقب آل أبي طالب / تأليف: ابن شهر آشوب (ت 588هـ) / تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف / نشر وطبع: المكتبة الحيدرية لسنة 1376هـ، 1956م / النجف الأشرف _ العراق.
114. موسوعة العلوم النفسية / تأليف: هيجل / ترجمة د. إمام عبد الفتاح / نشر: دار التنوير لسنة 1428هـ، 2008م / الطبعة الثالثة / بيروت.
115. موسوعة الممل والنحل / تأليف: أبي الفتح الشهرستاني (ت 548هـ) / تحقيق: محمد سيد كيلاني / نشر وطبع: دار المعرفة / بيروت _ لبنان.
116. الميزان في تفسير القرآن / تأليف: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1402هـ) / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة 1417هـ، 1996م / الطبعة الأولى / بيروت _ لبنان.
117. النصائح الكافية / تأليف: السيد محمد بن عقيل بن عبد الله العلوي (ت 1350هـ) / نشر وطبع: دار الثقافة للطباعة والنشر لسنة 1412هـ / الطبعة الأولى / قم المقدسة _ إيران.

118. النهاية فى غريب الحديث / تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيبانى الجزرى ابن الأثير (ت 606هـ) / تحقيق: طاهر أحمد الزاوى / نشر وطبع: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع لسنة 1384هـ، 1965م / الطبعة الرابعة / قم المقدسة - إيران.
119. نهج السعادة فى مستدرک نهج البلاغة / تأليف: الشيخ المحمودى / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات / بيروت - لبنان.
120. وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته بين اختلاف أصحابه واستملاك أزواجه / تأليف: السيد نبيل الحسنى / نشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية للعتبة الحسينية المقدسة كربلاء، العراق / طبع: مؤسسة الأعلمی لسنة 1435هـ، 2014م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.
121. وفيات الأعيان / تأليف: ابن خلكان / تحقيق: إحسان عباس / نشر: دار الثقافة / بيروت - لبنان.
122. ينابيع المودة لذوى القربى / تأليف: القندوزى / تحقيق: سيد على جمال أشرف الحسنى / نشر وطبع: دار الأسوة للطباعة والنشر لسنة 1416هـ / الطبعة الأولى.

المحتويات

الإهداء

مقدمة الكتاب

المبحث الأول: مصطلح الخطاب الدينى، ما هو؟

المسألة الأولى: لفظ (الخطاب) كما قدمه اللغويون والمفسرون

أولاً: الخطاب لغة

ثانياً: الخطاب فى القرآن الكريم

ألف:

باء:

جيم:

دال:

هاء:

ثالثاً: ما هى الخطابة؟

المسألة الثانية: ما هو الدين كى يتصف به الخطاب فىكون دينياً؟

أولاً: تعريف الدين

ثانياً: الاتجاهات المعاصرة لبيان معنى الدين وفهمه

ألف: فكرة الدين بمنظار رأسمالي برجوازي

باء: التفسير الأثروبولوجي للدين

جيم: النظرية الاجتماعية في تفسير الدين

المبحث الثاني: مرجعية الخطاب الديني ومناهله

المسألة الأولى: دور القرآن في مرجعية الخطاب الديني

المسألة الثانية: دور السنة النبوية في مرجعية الخطاب الديني

المسألة الثالثة: دور السلف في مرجعية الخطاب الديني

أولاً: السلف لغة

ثانياً: السلف اصطلاحاً وفقها

ثالثاً: توقف بعض علماء أهل السنة والجماعة في حصر الخيرية في أهل القرون الثلاثة الأولى

1 __ قال ابن حجر العسقلاني

2 __ قال ابن عبد البر

3 __ قال المناوي والكلاباذي وغيرهما

4 __ قال السرخسي

5 __ قال ابن تيمية

المبحث الثالث: آليات فهم النص وبناء الخطاب الدينى

أولاً: كتمان الحقائق

ثانياً: العلم الغائب ونقصان المعرفة

ثالثاً: ذريعة الاجتهاد الخاطى وصريح مخالفته للقرآن والسنة

المبحث الرابع: تقديس النص أم نص القداسة ودوران الخطاب الدينى بينهما

المسألة الأولى: القداسة الذاتية والإلتصاقية

المسألة الثانية: القداسة بين مقتضيات الملك ومقتضيات الدين

المسألة الثالثة: إعمال العقل أم حاكمية الجهل

الشاهد الأول: إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ينص على كفر أحد الصحابة وأبو بكر وعمر ينصان على إيمانه اجتهاداً فيخالفان أمره

الشاهد الثانى: ما رواه البخارى فى اتهام الصحابى ذى الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالظلم والعياذ بالله

المبحث الخامس: تجديد الخطاب الدينى أم تجديد البنية الفكرية والمعرفية؟

المسألة الأولى: اتخاذ الخطاب الدينى وسيلة لبلوغ السلطة

الشاهد الأول: استخدام الخطاب الدينى فى حسم أمر البيعة فى مجتمع الكوفة بين عائشة وعمار بن ياسر وتباين قوة تأثير هذه الخطابات فى الناس

الشاهد الثانى: استخدام الخطاب الدينى فى خروج طلحة والزبير لحرب أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام والهدف بلوغ السلطة

الشاهد الثالث: استخدام عبد الله بن الزبير لوسيلة الخطاب الدينى فى حربه لأمير المؤمنين الإمام على عليه السلام لأجل تولى أمر المسلمين

1 __ تغييره لبناء الكعبة المشرفة

2 __ حبسه لعبد الله بن عباس وولده فى الشعب واضرامه النار عليهم

3 __ تركه للصلاة على محمد وآله أربعين جمعة

4 __ محاربتة الشديدة لحبر الأمة عبد الله بن عباس

5 __ نفيه لعبد الله بن عباس الى الطائف

المسألة الثالثة: اعرف الدين تعرف أهله، وبهم يتم التجديد فى الخطاب الدينى الذى سنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم

أولاً: من هم أهل الدين الذين عرّفهم القرآن للناس؟

1 __ إنهم مطهرون من الآثام وكل شىء قدر

2 __ العلم بالقرآن والسنة

3 __ الصدق

ثانياً: خير ما نستدل به على معرفة الدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين على عليه السلام إلى خاصة أصحابه وشيعته وفيه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث السادس: دور خطاب العقيلة زينب عليها السلام فى إصلاح البنية الفكرية للمجتمع الإسلامى فى الكوفة

المسألة الأولى: من هى العقيلة زينب عليها السلام؟

المسألة الثانية: مقومات الإصلاح للبنية الفكرية فى خطابها الدينى لمجتمع الكوفة

الأداة الأولى: الصدمة الثقافية (Inter cultural communication)

أولاً: تعريف مصطلح الصدمة الثقافية

ثانياً: جذور الصدمة الثقافية تعود للقرن الأول للهجرة النبوية

الأداة الثانية: استرعاء الانتباه الجماهيرى

الأداة الثالثة: النافذة الانفعالية

الأداة الرابعة: المنظور التطورى النفسى

الأداة الخامسة: بث الروح فى الضمير الجمعى

أولاً: تحريك نبض التوحيد

ثانياً: بنوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسمى بيد المسلمين

ثالثاً: تقتلون الطيبين الأخيار وتتولون الخبيثين الأشرار

الأداة السادسة: التعزير النفسى

أولاً: التعزير لغة

ثانياً: التعزير عند الفقهاء

الأداة السابعة: تشخيص الرذائل التى أصابت أهل الكوفة إلى أخلاق فردية واجتماعية وأن الإصلاح يبدأ بالفرد قبل المجتمع

الأداة الثامنة: تجمير المشاعر واصدام النفوس

الأداة التاسعة: تعظيم حرمة أهل البيت عليهم السلام وبيان مقامهم عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

الأداة العاشرة: إظهار عقوبة قتل العترة النبوية في الدنيا والآخرة

الأداة الحادية عشرة: حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرمة عترته وإن آثارتها عند الله تعالى كأثار جريمة الشرك

المسألة الثالثة: كيف استطاعت العقيلة زينب عليه السلام بخطابها الديني تغيير الاتجاهات والقيم في المجتمع الكوفي؟

أولاً: مفهوم الاتجاه وتعريفه

ثانياً: شواهد ظهور الاستجابة المسيطرة وتغيير الاتجاه في المجتمع الكوفي بعد خطاب العقيلة زينب عليها السلام

الشاهد الأول: التغيير العام في سلوك أهل الكوفة

الشاهد الثاني: ارتفاع صوت الناس بالبكاء حينما خاطبهم الإمام زين العابدين عليه السلام

الشاهد الثالث: حسبك يا ابنة الطاهرين

الشاهد الرابع: تفجر شرارة الانتفاضة على والي الكوفة بلسان عبد الله بن عفيف الأزدي

الشاهد الخامس: قائد جيش الكوفة يظهر ندمه وخسرانه في طاعته لابن زياد

ثالثاً: اجتماع المكونات الأساسية للاتجاه النفسي نحو العترة بفعل الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام

المكون الأول: المكون المعرفي

المكون الثاني: المكون الوجداني الانفعالي

المكون الثالث: المكون النزعي السلوكي

المصادر

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدي الخرسان

السجود على التربة الحسينية

1

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية

2

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو

3

الشيخ علي الفتلاوي

النوران — الزهراء والحوراء عليهما السلام — الطبعة الأولى

4

الشيخ علي الفتلاوي

هذه عقيدتي — الطبعة الأولى

5

الشيخ علي الفتلاوي

الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي

6

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان

7

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء

8

الشيخ وسام البلداوى

ابك فانك على حق

9

الشيخ وسام البلداوى

المجاب بردّ السلام

10

السيد نبيل الحسنى

ثقافة العيدية

11

السيد عبد الله شبر

الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن

12

الشيخ جميل الربيعى

الزيارة تعهد والتزام ودعاء فى مشاهد المطهرين

13

لييب السعدى

من هو؟

14

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟

15

الشيخ على الفتلاوى

المرأة فى حياة الإمام الحسين عليه السلام

16

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم

17

السيد محمد حسين الطباطبائي

حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)

18

السيد ياسين الموسوي

الحيرة في عصر الغيبة الصغرى

19

السيد ياسين الموسوي

الحيرة في عصر الغيبة الكبرى

20

الشيخ باقر شريف القرشي

حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ___ ثلاثة أجزاء

21 __ 23

الشيخ وسام البلداوي

القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام

24

السيد محمد علي الحلو

الولايان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة

25

الشيخ حسن الشمري

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام

السيد نبيل الحسنی

حقیقة الأثر الغیبی فی التربة الحسینیة

السيد نبيل الحسنی

موجز علم السیرة النبویة

الشیخ علی الفتلاوی

رسالة فی فن الإلقاء والحوار والمناظرة

علاء محمد جواد الأعسم

التعریف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمی (LC)

السيد نبيل الحسنی

الأثر وولوجیا الاجتماعیة الثقافیة لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسین علیه السلام

السيد نبيل الحسنی

الشیعة والسیرة النبویة بین التدوین والاضطهاد (دراسة)

الدكتور عبدالکاظم الیاسری

الخطاب الحسینی فی معركة الطف __ دراسة لغویة وتحلیل

الشيخ وسام البلداوى

رسالتان فى الإمام المهدي

الشيخ وسام البلداوى

السفارة فى الغيبة الكبرى

السيد نبيل الحسنى

حركة التاريخ وسنته عند على وفاطمة عليهما السلام (دراسة)

السيد نبيل الحسنى

دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء — بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام — الطبعة الثانية

شعبة التحقيق

زهير بن القين

السيد محمد على الحلو

تفسير الإمام الحسين عليه السلام

الأستاذ عباس الشيباني

منهل الظمان في أحكام تلاوة القرآن

السيد عبد الرضا الشهرستاني

السجود على التربة الحسينية

السيد علي القصير

حياة حبيب بن مظاهر الأسدي

الشيخ علي الكوراني العاملي

الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميهما وشفيعهما

جمع وتحقيق: باسم الساعدي

السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري

45

نظم وشرح: حسين النصار

موسوعة الألو في نظم تاريخ الطفوف _ ثلاثة أجزاء

46

السيد محمد علي الحلو

الظاهرة الحسينية

47

السيد عبدالكريم القزويني

الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام

48

السيد محمد علي الحلو

الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية

49

الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد

نساء الطفوف

50

الشيخ محمد السند

الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد

السيد نبيل الحسنى

خديجة بنت خويلد أُمَّة جُمعت في امرأة - 4 مجلد

الشيخ على الفتلاوى

السبط الشهيد - البُعد العقائدى والأخلاقى فى خطب الإمام الحسين عليه السلام

السيد عبدالستار الجابرى

تاريخ الشيعة السياسى

السيد مصطفى الخاتمى

إذا شئت النجاة فزر حسيناً

عبدالسادة محمد حداد

مقالات فى الإمام الحسين عليه السلام

الدكتور عدى على الحجّار

الأسس المنهجية فى تفسير النص القرآنى

الشيخ وسام البلداوى

فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين

حسن المظفر

نصرة المظلوم

السيد نبيل الحسنى

موجز السيرة النبوية - طبعة ثانية، مزينة ومنقحة

الشيخ وسام البلداوى

ابك فانك على حق - طبعة ثانية

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب ثالث من أسلم - طبعة ثانية، منقحة

السيد نبيل الحسنى

ثقافة العيد والعيدية - طبعة ثالثة

الشيخ ياسر الصالحى

نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام

السيد نبيل الحسنى

تكسير الأصنام - بين تصريح النبى 2 وتعتميم البخارى

الشيخ على الفتلاوى

رسالة فى فن الإلقاء - طبعة ثانية

محمد جواد مالك

شعبة العراق وبناء الوطن

حسين النصراوى

الملائكة فى التراث الإسلامى

السيد عبد الوهاب الأسترآبأدى

شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق

الشيخ محمد التنكابنى

صلاة الجمعة- تحقيق: الشيخ محمد الباقرى

70

د. على كاظم مصلاوى

الطفيات - المقولة والإجراء النقدى

71

الشيخ محمد حسين اليوسفى

أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام

72

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء - طبعة ثانية

73

السيد نبيل الحسنى

سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

74

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة

75

السيد نبيل الحسنى

المولود فى بيت الله الحرام: على بن أبى طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟

السيد نبيل الحسنی

حقیقة الأثر الغیبی فی التربة الحسینیة - طبعة ثانية

السيد نبيل الحسنی

ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبی صلی الله علیه وآله وسلم

صباح عباس حسن الساعدي

علم الإمام بین الإطلاقیة والإشائیة على ضوء الكتاب والسنة

الدكتور مهدي حسين التميمي

الإمام الحسين بن علی علیهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء

ظافر عبيس الجياشي

شهيد باخمري

الشيخ محمد البغدادي

العباس بن علی علیهما السلام

الشيخ علی الفتلاوي

خادم الامام الحسين عليه السلام شريك الملائكة

الشيخ محمد البغدادي

مسلم بن عقيل عليه السلام

السيد محمد حسين الطباطبائي

حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) - الطبعة الثانية

الشيخ وسام البلداوي

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية

الشيخ وسام البلداوي

المجانب برد السلام - طبعة ثانية

ابن قولويه

كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)

السيد مصطفى القزويني

Islam Inquiries About Shi'a

السيد مصطفى القزويني

When Power and Piety Collide

السيد مصطفى القزويني

Discovering Islam

د. صباح عباس عنوز

دلالة الصورة الحسينية في الشعر الحسيني

حاتم جاسم عزيز السعدي

القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ حسن الشمري الحائري

قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام

94

الشيخ وسام البلداوي

تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء

95

الشيخ محمد شريف الشيرواني

الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام

96

الشيخ ماجد احمد العطية

سيد العبيد جون بن حوى

97

الشيخ ماجد احمد العطية

حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام

98

الشيخ علي الفتلاوي

المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام __ الطبعة الثانية __

99

السيد نبيل الحسنى

هذه فاطمة عليها السلام - ثمانية أجزاء

السيد نبيل الحسنى

وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته

تحقيق: مشتاق المظفر

الأربعون حديثاً في الفضائل والمناقب - اسعد بن ابراهيم الحلبي

تحقيق: مشتاق المظفر

الجعفریات - جزئين

تحقيق: حامد رحمان الطائي

نوادير الأخبار - جزئين

تحقيق: محمد باسم مال الله

تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - ثلاثة أجزاء

على حسين يوسف

الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث

الشيخ على الفتلاوى

This Is My Faith

حسين عبدالسيد النصار

الشفاء في نظم حديث الكساء

حسن هادي مجيد العوادي

قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه

السيد علي الشهرستاني

آية الوضوء وإشكالية الدلالة

السيد علي الشهرستاني

عارفاً بحقكم

السيد الموسوي

شمس الإمامة وراء سحب الغيب

إعداد: صفوان جمال الدين

Ziyarat Imam Hussain

تحقيق: مشتاق المظفر

البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرزي

تحقيق: مشتاق المظفر

النكت البديعة فى تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحرانى

تحقيق: مشتاق صالح المظفر

شرح حديث حينا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ على بن عبد الله الستري البحرانى

تحقيق: مشتاق صالح المظفر

منهاج الحق واليقين فى تفضيل على أمير المؤمنين للسيد ولى بن نعمة الله الحسينى الرضوى

تحقيق: أنمار معاد المظفر

قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني

118

تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي

حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكنعمي

119

السيد نبيل الحسنی

باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة

120

السيد علي الشهرستاني

تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء

121

ميثاق عباس الحلبي

يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء

122

السيد نبيل الحسنی

The Aesthetics of 'Ashura

123

د. حيدر محمود الجديع

نثر الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ ميثاق عباس الخفاجي

قرة العين في صلاة الليل

أنطوان بارا

من المسيح العائد إلى الحسين الثائر

السيد نبيل الحسنی

ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ

السيد نبيل الحسنی

الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجديد الفكر

مروان خليفات

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة

الشيخ حسن المطوري

البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين

الشيخ وسام البلداوى

تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء

السيد نبيل الحسنى

A Concise Knowledge Of The Prophetic Life History

تحقيق: السيد محمد كاظم

معانى الأخبار للشيخ الصدوق

تحقيق: عقيل عبدالحسن

ضياء الشهاب وضوء الشهاب فى شرح ضياء الأخبار

عبدالله حسين الفهد

هوامش على رسالة القول الفصل فى الآل والأهل

عبدالرحمن العقيلي

فلان وفلانة

عبدالرحمن العقيلي

معجم نواصب المحدثين

السيد نبيل الحسنى

استنطاق آية الغار

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر أباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

